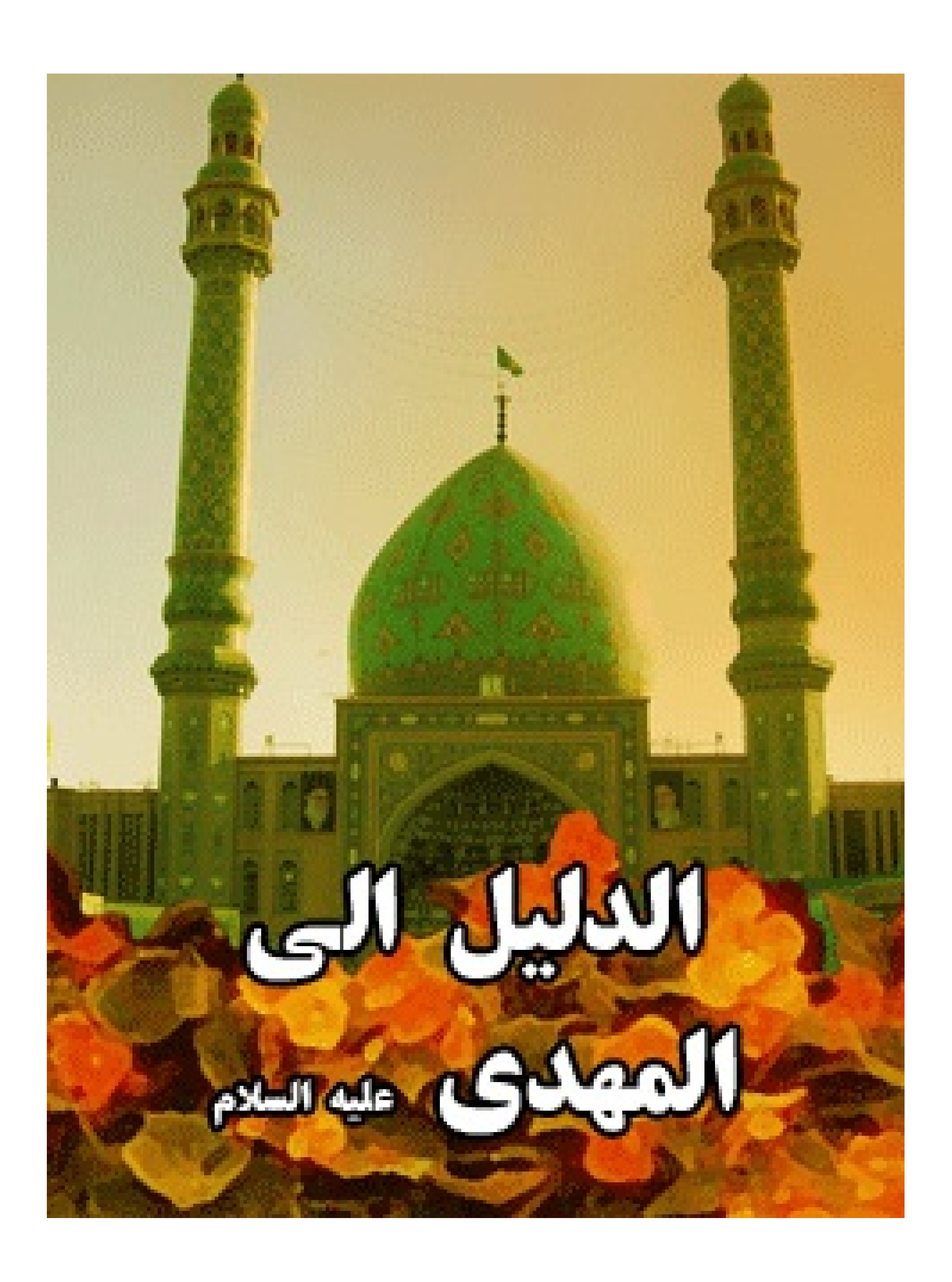

الدليل الى
المهدى عليه السلام


بسم الله الرحمن الرحیم

الدلیل الی المهدی (عجل الله تعالی فرجه الشریف)

کاتب:

جمعی از نویسندگان مجله حوزه

نشرت فی الطباعهٔ:

مجله حوزه

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الدلیل الی المهدی (عجل الله تعالی فرجه الشریف)

اشارة

مقدمة- الثقل الکبیر و الثقل الأکبر

اشاره

القرآن الکریم هو الثقل الأکبر الـذی أنزله الله تعالی بما فیه من العظمـة والمنزلة علی قلب رسوله محّمدٍ صـلی الله علیه وآله وسـلَّم ثمَّ نزَّلـه علی هیئـة المُصـحف الشـریف المشـتمل علی الحروف والکلمـات بلسـان عربی مـبین لیکـون هـدیً لعـامَّة النـاس العربیِّ وغیر العربی.فمن کانت لـدیه أدنی معرفـة للغـة العربیَّة فلا محالـة سوف یُدرک جانباً من ظاهر هذا الکتاب قال تعالی:(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِیًّا لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ) (یوسف/۲).وهـذا الخطاب یشـمل العرب وغیرهم علی السواء، نعم معرفةُ الجوانب الظاهریّة الدقیقة تتوقَّف علی الفهم الشامل للّغة العربیة وأسرارها.ومع ذلک هناک العدد الکبیر من الآیات الکریمة غیر مفهومة لا من حیث المفهوم والمعنی ولا من حیث المصـداق والتطبیق، ولیست هنـاک أیُّة وسـیلة عادیـة یمکننـا من خلالهـا الإطّلاع علی تلک الآیات والوصول إلی محتواها الواقعی.فیا تری کیف نحلُّ هذه المشکلة؟وهل هناک من یُطْمأنُّ به کی یُدلَّنا علی محتواها وینبئنا عن تفسیرها أو تأویلها؟

اهل البیت هم مفسروا القرآن

إنَّ القرآن الکریم بنفسه قد عرَّف لنا الوسـیلة ورسم لنا السبیل لفهم تلک الآیات والوصول إلی حقیقتها، قال تعالی:(إِنَّهُ لَقُرْآنٌ کَرِیمٌ- فِی کِتَابٍ مَکْنُونٍ- لَا یَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) (الواقعـة/۷۷:۷۹)قال آیـة الله العظمی السـید الخوئی رضوان الله تعالی علیه(فی مبحث مسِّ القرآن الکریم):(ثم إن قوله عزَّ من قائل: لا یمسه إلا المُطهَّرون لا یستفاد منه حکم المسألة فضلًا أن یدلَّ علیه بالأولویة، وذلک:فلأنَّ المطهَّر غیرُ المتطهِّر..فالمطهَّر عبارةٌ عمَّن طهَّره الله سبحانه من الزلل والخطأ وأذهب عنه کلَّ رجس، والمـذکور فی الآیـة المبارکة هو المطهَّر دون المتطهِّر ففیها إشارة إلی قوله سبحانه: إنما یریـد الله لیـذهب عنکم الرجس أهل البیت ویطهرکم تطهیرا فمعنی الآیة علی هـذا أن مس الکتاب – الـذی هو کنایـة عن درکه بما له من البواطن – لا یتیسَّرُ لغیر الأئمة المطهرین فإنَّ غیر من طهره الله سبحانه لا یصـل من الکتـاب إلاـ إلی ظـواهره) (التنقیـح فی شـرح العروة الـوثقی ج ۳ ص۳۱۵)هـذا وقال الإمام قـدّس سرُّه:(واعلم أنّ للکتاب التـدوینی الإلـهی بطوناً سبعة باعتبارٍ وسـبعین بطناً بوجهٍ لا یعلمها إلا اللّه والراسـخون فی العلم ولا یمسُّها إلّا المطهّرون من الأحـداث المعنویة والأخلاق الرذیلة السـیئة والمتحلُّون بالفضائل العلمیة والعملیَّة، وکلُّ من کان تنزّهه وتقدّسه أکثر کان تجلِّی القرآن علیه أکثر وحظُّه من حقائقه أَوفر) (شرح دعاء السحر ص۷۱)ومن هنا نعرف أهمیَّةَ ما ذکره رسول الله صـلی الله علیه وآله حیث قال:(إِنِّی تارک فیکم الثقلین کتابَ الله و عترتِی أهلَ بیتی ما إن تمسکتم بهما لن تضلُّوا بعدی أبداً وأنَّهما لن یفترقا حتّی یَردا علیَّ الحوض) (الحدیث متواتر بین العامـة و الخاصـة راجع:بحـار الأنوار ج۲ ص۱۰۰ روایة ۵۹ باب۱۴-ج۲ ص۲۸۵ روایة ۲ باب۳۴-ج ۵ ص ۲۱ روایة ۳۰ باب۱)والحـدیث من أبرز الأحادیث المتواترة لفظاً لدی الفریقین وقد صدر عنه صـلی الله علیه و آله هذا النصّ فی مواطن عدیدة، ولو تأمَّلنا فی مضـمونه لاسـتنتجنا منها أموراً کثیرة.نشـیر إلی ما ذکره الإمام الزرقانی المالکی حیث قال:۱- أنَّهم علیهم السـلام عِدل کتاب الله.۲- أنَّ الهدایـة منحصـرة بالتمسـک بهما.۳- أنَّهم هم المفسـرون والواقفـون علی أسـرار القرآن ورمـوزه.۴-وجـود من یکون أهلًا للتمسک بالقرآن من عترته فی کل زمن إلی قیام الساعـة حتّی یتوجَّه الحثُّ المـذکور علی التمسک به کما أنَّ الکتاب کذلک(الإمام الزرقانی المالکی یحکی فی شرح المواهب ج۷ص۸ عن السمهودی نقله العلاّمة الأمینی فی الغدیر).أقول: مضافاً إلی ذلک فالمقصود من لن یفترقـا لیس فی عـالم الـدنیا فحسب بـل فی جمیع العوالم من المُلک(الـدنیا) والملکوت(البرزخ) والجبروت(الآخرة) حتی یردا

علیّ الحوض.

اهل البیت و تفسیر القرآن الکریم

التفاسیر التی نقلت عن أئمتنا علیهم السلام علی نحوین رئیسین:الأوَّل: ما یبیِّنونه علیهم السلام من معانٍ للآیة من غیر أن یکونوا بصدد إقناعنا نحن کقولهم فی تفسیر ما کنتم تکتمون:(عن الإمام السجاد علیه السلام:...وما کنتم تکتمون ظَنَّنا أنّ لا یخلق الله خلقاً أکرم علیه منّا) (بحار الأنوار ج ۹۹ ص ۲۰۵ روایة ۱۹ باب۳۶).وفی هذه الموارد یأتی دور التعبُّد بکلامهم علیهم السلام وقبول ما صدر منهم حیث أنَّ کلامهم هو کلام الله.الثانی: وهو الأکثر وذلک من خلال الإستشهاد بآیاتٍ أخر متَّصلة بالآیة المطلوب تفسیرها أو منفصلة عنها تکون دلیلاً علی معناها وهذا من تفسیر القرآن بالقرآن عن الأئمَّة علیهم السلام.ولهذا النوع من التفسیر شواهدُ عدیدةٌ فی کلامهم علیهم السلام سوف تُواجه مواردَ کثیرةً منها ضمن البحث، ولا بأس بذکر أحد النماذج البیِّنة وهی قضیة ابن أبی داود حین رجع من عند المعتصم وهو مُغتَم وکان یتمنَّی أنه لم یکُ حیاً حیث أقرَّ رجلٌ علی نفسه بالسرقة وأراد من الخلیفة أن یُطهِّره بإقامة الحدِّ علیه فجمع لذلک الفقهاء فی مجلسه وکلٌّ قد أفتی بما یراه وکان أبو داود من جملة الفقهاء الذین أفتَوا بغیر علم(فالتفت الخلیفة إلی محمَّد بن علیٍّ علیه السلام فقال: ما تقول فی هذا، أبا جعفر فقال: قد تکلم القوم فیه، قال دعنی ممّا تکلَّموا به، أیُّ شیءٍ عندک قال أعفنی عن هذا قال أقسمت علیک بالله لما أخبرت بما عندک فیه فقال أما إذا أقسمت علیَّ بالله إنِّی أقول: أنَّهم أخطئوا فیه السنة فإنَّ القطع یجب أن یکون من مفصل أصول الأصابع فیترک الکف قال: و ما الحجَّة فی ذلک قال قول رسول الله صلی الله علیه وآله السجود علی سبعة أعضاء الوجه والیدین والرکبتین والرجلین فإذا قطعت یده من الکرسوع أو المرفق لم یبق له ید یسجد علیها وقال الله تبارک وتعالی و أن المساجد لله(الجن/۱۸) یعنی به هذا الأعضاء السبعة التی یُسجد علیها فلا تدعوا مع الله أحداً وما کان لله لم یُقطع. قال: فأعجب المعتصم ذلک وأمر بقطع ید السارق من مفصل الأصابع دون الکف) (بحار الأنوار ج ۵۰ ص ۶ روایة ۷ باب۱–ج ۷۹ ص ۱۹۱ روایة ۳۳ باب۹۱–ج ۸۵ ص ۱۲۸ روایة ۱ باب۲۷–ج ۸۵ ص ۱۳۸ روایة ۲۱ باب ۲۷).فلیس بإمکاننا معرفة حقیقة القرآن إلاّ بالرجوع إلیهم علیهم السلام حیث أنَّه لا یَعرف القرآن إلاّ من خوطب به، فنقول وبصریح الکلمة:إنَّ القرآن یساوی أهلَ البیت وأهلُ البیت یساوون القرآن لا ولن یفترقا أبداً.فلو واجهت فی خلال البحث أنَّنا نُربط الآیات کلَّها بأهل البیت فلا تتعجَّبْ من ذلک، فهُم القرآن الناطق و لا یُمکن فهم القرآن دونهم فکلَّما سلک الإنسان طریقاً مهما طال وبَعُد فلابدَّ أن یصل إلیهم ویلتقی بهم من قبل أن یضِّل ویخزی.

لولاک لما خلقت آدم

اشاره

إنَّ قصَّة خلق آدم طویلة إلاّ أنَّنا نحاول الإشارة إلی بعض الجوانب المهمَّة منها، قال تعالی:(وإذ قال ربُّک للملائکةِ إنِّی جاعلٌ فی الأرض خلیفة) (البقره/۳۰)فهاهنا یُذکِّر الله سبحانه نبیَّنا تلک القضیَّةَ التِّی حدثت عند خلق آدم فیقول وإذ أی أُذکر ذلک الحدث، والظرف إذ منصوب بإضمار أذکر(تفسیر الکشاف للزمخشری ج۱ ص۲۷۱).فیستفاد من ذلک أنَّ النبی الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم کان قد شهد تلک المشاهد من بدایة الخلق حیث یقول سبحانه:(وإذ قال ربّک للملائکة إنی جاعل فی الأرض خلیفة)وبطبیعة الحال کان صلوات الله علیه یعلم تفصیلاً وعلی مستوی الجزئیات تلک القضایا والحوادث التی مرَّت من بدایة خلق آدم وما حدث بعد ذلک ومهمّة القرآن لیست هی إلاّ تذکیره علیه السلام بها، ومن هنا نشاهد أنَّه سبحانه یقول:(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَیْکَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَیْنَا إِلَیْکَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ کُنتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِینَ) (یوسف/۳).ولا یخفی الفرق بین الغفلة وبین الجهل فهو صلوات الله علیه لم

يكن جاهلًا بتلك القصص بل كان عالماً بها والقرآن إنَّما يُذكِّره بما كان يعلمه وغفل عنه. وقد ذُكرت كلمة إذ بهذا المعنى فی أكثر من مائتی موردٍ من القرآن، كما أنَّه قد صرَّح سبحانه بقوله(واذكر) فی موارد عشرة وهی:۱-(وَاذْكُرْ فِی الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا) (مريم/۱۶).۲-(وَاذْكُرْ فِی الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا) (مريم/۴۱).۳-(وَاذْكُرْ فِی الْكِتَابِ مُوسَی إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا) (مريم/۵۱).۴-(وَاذْكُرْ فِی الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا) (مريم/۵۴).۵-(وَاذْكُرْ فِی الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا) (مريم/۵۶).۶-(..وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ) (ص/۱۷).۷-(وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَی رَبَّهُ أَنِّی مَسَّنِی الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ) (ص/۴۱).۸-(وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِی الأَيْدِی وَالأَبْصَارِ) (ص/۴۵).۹-(واذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنْ الأَخْيَارِ) (ص/۴۸).۱۰-(وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ..) (الأحقاف/۲۱).فإذاً النبیُّ صلی الله عليه وآله كان عالماً بتأريخ السابقين من الأنبياء والأولياء وغيرهم وذلک لعلمه بالغيب وهذه الحقيقة من عقائدنا المسلَّمة الثابتة عقلًا ونقلًا وليس هنا موضع الحديث عنها.علی أنهم أوَّل ما خلق الله كما سيتضح لک فيما بعد وفی الزيارة الجامعة المنقولة فی عيون أخبار الرضا عليه السلام مسنداً عن الإمام النقی عليه السلام:(خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه مُحدقين حتَّی منَّ علينا بكم فجعلكم فی بيوت أذن الله أن ترفع ويُذكر فيها اسمه) (بحار الأنوار ج ۱۰۰ ص۱۰۳ رواية۱ باب۶).فهم إذاً قد شاهدوا جميع ما خلق الله من الموجودات وكانوا قد اطَّلعوا عليها.

العلاقة بين الانسان و الملائكة

ينبغی لنا أن نبيِّن مدی العلاقة والارتباط المتواجد بين الملائكة وبيننا نحن البشر، فهناک ترابط حيوی له دور فی حركة الإنسان الرسالی الذی ينطلق من مبدأ العقل والقلب، فكما أنَّ الاعتقاد بالتوحيد والنبوة والإمامة وسائر الأصول له تأثير فی تعامل الإنسان وارتباطه مع ما حولَه من الموجودات كذلک الاعتقاد بالملائكة أيضاً له ذلک الدور الذی يسيِّره نحو الكمال المطلق.ومن هذا المنطلق صار الإيمان بالملائكة من جملة الأمور العقائديَّة التِّی قد آمن بها الرسول الأكرم صلی الله عليه و آله و سلم، وآمن بها كلّ المؤمنين.(آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) (البقرة/۲۸۵).وفی موطن آخر نشاهد أنَّ الله سبحانه حكم علی الكافرين بالملائكة، بالضلال البعيد فيقول:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِی نَزَّلَ عَلَی رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِی أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا) (النساء/۱۳۶).وأما دور الملائكة ومسئولياتهم الخطيرة تجاه الإنسان فهی كثيرة والملاحظ فی القرآن الكريم أنَّ من أهمِّ أدوار الملائكة هو الصلاة المستمرة علی النبیِّ تبعاً لصلاة الله تعالی عليه:(إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَی النَّبِیِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (الأحزاب/۵۶).وأيضاً صلاتهم علی المؤمنين(هُوَ الَّذِی يُصَلِّی عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَی النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) (الأحزاب/۴۳).ولابدّ أن نعلم أنَّ هناک مرحلة أهمّ من ذلک وهی التعرُّف علی الملائكة الموكَّلة علينا خاصَّة لأنه لا محالة سوف نواجههم ويواجهوننا بل نصحبهم ويصحبوننا فی كلٍ من عالمی البرزخ والآخرة.ففی تفسير الإمام:(قال عليه السلام قال رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم ... فإنَّ كلَّ واحدٍ منكم معه ملکٌ عن يمينه يكتب حسناته و ملکٌ عن يساره يكتب سيئاته) (...بحار الأنوار ج۶۳ ص۲۷۱ رواية ۱۵۸ باب۳)كلُّ ذلک أدَّی إلی طرح موضوع خلقة آدم - وخلافة بنيه فی الأرض -علی الملائكة فقال تعالی لهم:(..إِنِّی جَاعِلٌ فِی الأَرْضِ خَلِيفَةً..) (البقرة/۳۰).والظاهر أنّه ليس المراد أنّ آدم نفسَه يكون خليفة فی الأرض بل كان خلق آدم لأجل تلک الخلافة التّی سوف يمنحها ويجعلها سبحانه لبعضٍ من وُلده وهم الخُلَّص من عباده وهم الذين يجدر أن يطلق عليهم الإنسانُ الكامل بمعنی الكلمة.وبالطبع هم نور واحد وحقيقة فاردة وإن تكثَّروا فی عالم الطبيعة ومن هنا نشاهد أنّه سبحانه لم يذكر الخليفة بصورة الجمع فلم يقل خلائف أو خلفاء بل جعلها مفردة.

الامانهٔ الالهيهٔ

إنَّ الخلافهٔ الإلهيهٔ تعنى النيابهٔ عنه تعالى فى جميع شئونه وصفاته الجماليهٔ والجلاليهٔ وهو أمر عظيم بل هو الأمر كما أنَّ الأوصياء هم أولوا الأمر ولعلها هى الأمانهٔ الإلهيهٔ التىّ يتطرق إليها سبحانه فى قوله:(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) (الأحزاب/۷۲).وحيث أنَّ الإنسان قد حمل تلك الأمانهٔ فلا بدَّ إذاً من أن يُمدح ويُحمد على ذلك لا أن يُذمّ ويُعاتب، وبالفعل قد مدحَه الله سبحانه بأنَّه كان ظلوماً جهولاً، فانظر إلى لطافهٔ هذا التعبير وتمعَّن فى محتواه فإنَّ الإنسان كان من أوّل الأمر ظلوماً بالنسبهٔ إلى ما سوى الله سبحانه، وجهولاً بجميع الموجودات سوى بارئه تعالى، فلم يكن يطلب إلاّ الله ولم يكن يعرف إلاّ المطلق.(من بخال لبت أى دوست كرفتار شدم)فالخال كنايهٔ عن وحدهٔ الذات المطلقهٔ وهو مبدأ ومنتهى الكثرهٔ الاعتباريهٔ وهو الهويهٔ الغيبيهٔ المحتجبهٔ عن الإدراك والشعور.هكذا فسَّر إمامُنا قدِّس سرُّه هذه الآيهٔ المباركهٔ وما أعظمه من تفسير!! وقال فى بعض أشعاره:(عارفان رخ تو جمله ظلوم انـد وجهول....اين ظلومى وجهولى، سر وسوداى من است)أى عرفاء وجهك كلهم ظلومون وجهولون.... هذا الظلوم والجهول من أعظم ما يختلج فى خاطرى. قال الإمام قدس الله روحه:(وهاتان الصفتان(أعنى الظلوميهٔ والجهوليّهٔ) هما أحسنُ صفتين اتصف بهما الإنسان من بين سائر صفاته)أقول: إنَّ هذا التفسير نابعٌ من ذلك الفكر العرفانى الذى يبنى عليه إمامُنا سائرَ أفكارِه المميَّزهٔ والذى هو أهم أساس لرؤيتِه العرفانيَّهٔ وأفكاره النورانيَّهٔ بل حتّى مواقفه الثوريهٔ ضد الطغاهٔ المستكبرين.وهذا الأساس هو(العشق بالكمال المطلق) (الأربعون حديثا، الحديث۱۱ ص ۱۷۹ الى ۱۸۷ و كتاب شرح دعاء السحر) والحديث عن هذا الموضوع ذو جوانب عديدهٔ وشُعب كثيرهٔ لعلِّى وُفقت لإفراد رسالهٔ عنه إنشاء الله تعالى.هذا:الملائكهٔ لم تتوفر لديها أرضيَّهٔ الخلافهٔ وكذا سائر الموجودات حيث أن الملائكهٔ مظاهر جمال الله ليس إلا كما أنّ هناك موجودات كثيرهٔ وبالأخص فى جنس الحيوانات هى مظاهر الجلال الإلهى.

الانسان مظهر الجمال و الجلال

أمّا الإنسان فهو مظهر للجمال والجلال معاً وذلك لوجود الجانبين فيه ومن هنا نعلم السرّ فى التعبير القرآنى حيث يقول سبحانه مخاطباً لإبليس:(..مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ..) (ص/۷۵).دون الملائكهٔ ولاختصاصه بالعشق دون الجن.قال الإمام قدِّس سرُّه:(فهو تعالى بحسب مقام الإلهيهٔ مستجمع للصفات المتقابلهٔ كالرحمهٔ والغضب، و البطون والظهور، و الأوّليَّهٔ والآخريّهٔ، و السخط والرضا، وخليفته لقربه إليه ودنّوه بعالم الوحدهٔ والبساطهٔ مخلوق بيدى اللطف والقهر وهو مستجمع للصفات المتقابلهٔ كحضرهٔ المستخلف عنه. ولهذا اعترض على إبليس بقوله تعالى:(..مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ..) (ص/۷۵). مع أنّك مخلوق بيد واحدهٔ. فكل صفهٔ متعلق باللطف فهى صفهٔ الجمال، وكل ما يتعلق بالقهر فهو من صفهٔ الجلال. فظهور العالم ونورانيّته وبهائه من الجمال وانقهاره تحت سطوع نوره وسلطهٔ كبريائه من الجلال وظهور الجلال بالجمال واختفاء الجمال بالجلال جمالك فى كل الحقايق ساير وليس له إلاّ جلالك ساتر) (شرح دعاء السحر)ثمَّ: إنَّ إمامنا له بيان آخر أدقّ مما ذكرناه قد بيَّنه فى كتابه مصباح الهدايهٔ إلى الخلافهٔ والولايهٔقال:(نور: لعلّ الأمانهٔ المعروضهٔ على السموات و الأرض والجبال التى أبَينَ عن حملها و حمَلَها الإنسان الظلومُ الجهول هى هذا المقام الإطلاقى فإن السموات و الأرضيين و ما فيهن حدودات مقيدات حتى الأرواح الكليهٔ و من شأن المقيّد أن يأبى عن الحقيقهٔ الإطلاقيهٔ. و الأمانهٔ هى ظلّ الله المطلق وظّل المطلق مطلق يأبى كل متعين عن حملها و أما الإنسان بمقام الظلوميّهٔ التى هى التجاوز عن قاطبهٔ الحدودات و التخطى عن كافّهٔ التعيينات و اللاّـ مقامى المشار إليه بقوله تعالى شأنه على ما قيل:(يا أهل يثرب لا مقام لكم) والجهوليهٔ التى هى الفناء عن الفناء قابل لحملها فحملها بحقيقتها الإطلاقيهٔ حين وصوله إلى مقام قاب قوسين و تفكّر فى قوله تعالى:(أو أدنى) و اطفِ السراج فقد طلع الصبح) (مصباح الهدايهٔ إلى الخلافهٔ و الولايهٔ ص۹۶).أقول:إنَّ الفناء عن الفناء من المراتب

الراقية للإنسان حيث لا يتوجَّه الإنسان إلى نفسِه أصلاً (بل هو فانٍ فى الله) و لا يتوجَّه إلى عدم توجُّهه و فنائه(لأنَّ التوجُّه إلى الفناء هو نوعٌ من الأنانيَّة).قال مولانا جلال الدين الرومى:(در خدا كُم شَو كمال اينست وبس كُم شدن كُم كُن وصال اينست)افن فى الله فهو الكمال ليس إلاّ و افن فى فنائك فهو الوصال ليس إلاّ.

ماذا يعنى ربک؟

ولنرجع إلى الآية المباركة فنقول إنَّ إضافة الربّ إلى ضمير الكاف فى قوله(ربّك) تشير إلى أنّ القضية راجعة إلى شخص النبىّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فالله بما أنه ربّ النبى قال للملائكة إنّى جاعل فى الأرض خليفة، فالخلافة إذاً لها مساس جذرى بشخصيّة النبى صلى الله عليه وآله وسلَّم.

حديث الملائكة

ثمَّ إنَّ لحن كلام الملائكة حيث قالوا:(..أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ..) (البقرة/۳۰).وإن كان الظاهر منه الاحتجاج أو التعجُب إلاّ أنَّهم لم يكونوا بصدد ذلك كيف وهم(..عِبَادٌ مُكْرَمُونَ- لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) (الأنبياء/۲۶،۲۷).فماذا كانوا يهدفون من قولهم هذا؟ إنَّهم كانوا يريدون أن يطَّلعوا على حقيقة الأمر فى مسألة الخلافة الإلهية فكانوا لا يرون عملاً أعظم ممّا يمارسونه هُم من التسبيح بحمده تعالى والتقديس غافلين عن مرحلةٍ أخرى والتّى هى أعظم من التسبيح والتقديس وهى العبوديَّة التّى هى جوهرة كنهها الربوبيَّة! ومن هنا كانوا يتسائلون حول هذه الخلافة؟ وكانوا يتوقعون الوصول إلى مستوى الإستخلاف كما فى الحديث:(عن الصادق عليه السلام...يا ربِّ إن كنت ولابدَّ جاعلاً فى أرضك خليفةً فاجعله منّا) (بحار الأنوار ج ۱۱ ص ۱۰۸ رواية ۱۷الباب۱-ج۵۷ ص ۳۶۷ رواية ۴ باب۴-ج ۶۱ ص ۲۹۹ رواية ۷ باب۴۷-ج ۶۳ ص ۸۳ رواية ۳۸ باب۲-ج ۹۹ ص ۳۲ رواية ۷ باب۴)ومن ناحية أخرى كانت الملائكة قد اطلعت ومن قبل أن يُخلق الإنسان أنَّه بخروجه من الجنَّة سوف يرتكب الجرائم البشعة من الإفساد فى الأرض بل سفك الدماء حيث يقولون:(..أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ..) (البقرة/۳۰).أما كيف علموا ذلك فلسنا بصدد الحديث عنه هنا - فبناءً على ذلك يكون استفهام الملائكة أمراً طبيعيّاً وفى محلِّه.

اقناع الملائكة

وكيف أجابهم الله جلَّ شأنه؟(..قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) (البقرة/۳۰).فلم يُنكر سبحانه تلك الأمور أعنى الإفساد فى الأرض وسفك الدماء كظاهرة سوف تصدر من هذا البشر بل الظاهر أنَّه قد قرَّرها، ولكنه سبحانه بيَّن للملائكة أنَّهم جاهلون بما يعلمه هو.وهاهنا يتوجَّه سؤال وهو: ماذا كان يعلم الله سبحانه وتعالى؟ هذا ما سيتبيَّن من خلال البحث. قال سبحانه:(وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا..) (البقرة/۳۱).هناك ارتباط وثيق بين الإسم والمُسمّى بحيث كلما يذكر الاسم وكأنَّ المُسمى قد حضر لدى السامع، لأنَّ الاسم ليس هو إلاّ مرآة للمسمَّى ولهذا قالوا أنَّ وجود الاسم هو وجود المسمى أو بالأحرى تنزيل للمسمّى وتجلٍّ له ولهذا نشاهد انتقال الجمال والقبح من المسمَّى إلى الاسم.وعلى ضوء ذلك أقول:إنَّ الله سبحانه قد علَّم آدم الأسماء كلها وذلك بدليل الآية المباركة حيث التأكيد بـ(كلِّها) مضافاً إلى الجمع المحلَّى باللاّم الدال على العموم، وهذه الأسماء كلَّها كاشفة عن المُسمَّيات العينية الخارجية فهى كانت حقائق لم يتيسَّر للملائكة الوصولُ إليها ولم تعرف الملائكة أسمائها من قبل أن ينبأهم آدم بأهمِّها التّى كانت مستوعبة ومخيِّمة على سائر الأسماء كما سنبيِّن ذلك. والأحاديث المبيِّنة لتلك الأسماء تتلخَّص فى طوائف ثلاثة:الأوَّل:(عن الفضل بن عباس عن أبى عبد الله عليه السلام قال سألته عن قول الله عز وجل وعلم آدم الأسماء كلها ما هى؟ قال: أسماء الأودية والنبات والشجر والجبال من الأرض) (بحار الأنوار ج ۱۱ ص ۴۷۱ رواية ۱۹ باب۲).الثانى:(عن أبى العباس عن أبى عبد الله عليه السلام قال سألته عن

قول الله وعلم آدم الأسـماء كلهـا ماذا علمه قال الأرضـيين والجبال والشـعاب والأوديـة ثم نظر إلى بساط تحته فقال و هـذا البساط مما علمه) (بحـار الأنوار ج ۱۱ ص ۱۴۷ روایة ۱۸ باب ۲)الثالث:(عن داود بن سـرحان العطار قال كنت عنـد أبى عبـد الله عليه السـلام فـدعا بالخوان فتغـدينا ثم جاءوا بالطشت والـدست سـنانه فقلت جعلت فداك قوله وعلم آدم الأسـماء كلها الطست والدست سـنانه منه فقال الفجاج والأودية وأهوى بيده كذا وكذا) (بحار الأنوار ج ۱۱ ص ۱۴۷ روایة ۲۰ باب ۲).

اسمائکم فی الأسماء

ولكن حيث أنّه لم تكن لجميع هذه الأسـماء علاقة بمقام الخلافة الإلهيّة نجد أنَّه تعالى يعرض قسـما مميّزاً منها خاصَّة أعنى مسـمَّياتها ومصاديقها وبطبيعة الحال كانت لتلك المُسـميّات علاقةً بالمهمِّ أعنى الخلافة التّى كان سبحانه بصدد إفهامها للملائكة لغرض توجيه خلق آدم عليه السـلام.أنظُر إلى هـذا التعبير وتأمّل فى كلمـة(ثم) فى قوله تعالى:(ثمَّ عرضَـهم على الملائكة). [۱] .فإنها قـد فصَّلتْ بين جميعِ الأسـماء وبين التّى عُرضَتْ على الملائكة. وتأمَّل أيضاً فى الضمير(هم) فإنَّه لو كانت الأسماء هى المعنيَّة والمعروضة عليهم دون المسـمَّيات أو كـانت تعنى المسـميات التّى لا ـ تمتلك التعقُّلَ لكان التعبير الصـحيح هو(عَرَضَـها) لا(عَرَضَـهُم).وأصـرح من ذلك قوله تعـالى:(فقـال أنـبئونى بأسـماء هؤلاـء إن كنتم صـادقين) [۲] .فهـل يحتمـل مـن يعرف ألـف بـاء اللغـةِ العربيـةِ أنَّ كلمـة هؤلاـء تعنى الموجودات من الجبال والشعاب والأودية والنبات والشـجر بأصـنافها؟!.أقول:بل إنَّما هى أسماء من سيَأتون على الأرض من ذريَّة آدم الـذين هم محلّ الاحتجاج والنزاع وبوجود تلك الذرِّيـة يمكن تبرير خلق آدم عليه السـلام وجعله خليفة فى الأرض، وبهم تُجبَر جميعُ المفاسـد التّى سوف يرتكبها بعضُ أولاد آدم عليه السـلام ولا يخفى أنَّ كلمـة هؤلاء تدلُّ على حضورهم بعينهم آنذاك وهم بعرشـه محـدقين.ولعلَّ قوله عليه السـلام فى الزيارة الجامعـة الكبيرة وأسـمائكم فى الأسـماء إشارة إلى هذه الحقيقة حيث كانت أسـمائهم فى الأسـماء التّى علَّمها الله آدم عليه السـلام.ثمَّ إنَّه على ما ذكرناه يمكننا معرفـة ما تروم إليه الأحاديث المتظافرة فى هـذا المجال، ورعاية للاختصار نـذكُر بعضـها:ذكر العلامـة المجلسـى رحمه الله فى البحار عنواناً فى مساواة على عليه السـلام مع آدم وإدريس ونوح عليهم السـلام نقله عن كتاب مناقب آل أبى طالب، ومن جملـة ما ذكر الروايـةَ التالية:(بإسـناده عن على عليه السـلام قال النبى صـلى الله عليه وآله: يـا على أنت بمنزله الكعبـة تُؤتى ولاـ تـأتى، آدم باع الجنـة بحبّات حنطـة فأُمر بالخروج منها قلنا اهبطوا منها جميعا وعلىٌ اشترى الجنة بقرص فأُذن له بالدخول فيها وجزاهم بما صبروا جنة، علم آدم الأسـماء كلها وكان اسم على وأسماء أولاده عليه السلام فعلَّم اللهُ آدم أسماءهم) (بحار الأنوار ج ۳۹ ص ۴۸ روایة ۱۵ باب ۷۳)وفى كتاب الإحتجاج للطبرسى:(عن أبى محمَّد العسكرى عليه السلام.... فقـال رسول الله وهل شـرفت الملائكـة إلا بحبِّها لمحمَّد وعلىٍّ وقبولها لولايتهما انه لا أحـد من محبِّى علىٍّ عليه السـلام نظف قلبه من قـذر الغش والـدغل والغل ونجاسـة الـذنوب إلا كان أطهر وأفضل من الملائكة، وهل أمر الله الملائكة بالسـجود لآدم إلا لما كانوا قد وضعوه فى نفوسهم إنه لا يصير فى الدنيا خلق بعدهم إذا رفعوهم عنها إلا و هم يعنون أنفسهم أفضل منهم فى الدين فضلا و أعلم بالله و بـدينه علمـا، فأراد الله أن يعرفهم أنهم قـد أخطئوا فى ظنونهم واعتقاداتهم فخلق آدم و علمه الأسـماء كلَّها ثم عرضـها عليهم فعجزوا عن معرفتهـا، فـأمر آدم أن ينبئهم بهـا و عرفهم فضـله فى العلم عليهم، ثم أخرج من صـلب آدم ذريَّة منهم الأنبياء والرسل و الخيار من عبـاد الله أفضـلهم محمَّد ثم آل محمَّد، ومن الخيار الفاضـلين منهم أصـحاب محمَّد وخيار أمه محمَّد، و عرف الملائكـة بـذلك أنهم أفضل من الملائكـة إلى آخر الحديث...) [۳] .والروايـة التالية المنقولة فى الكافى خير شاهد على ذلك:(عدة من أصـحابنا عن أحمد بن محمد عن ابن فضال عن أبى جميلة عن محمد الحلبى عن أبى عبد الله عليه السلام قال أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أن الله مثَّل لى أمتى فى الطين و علمنى أسماءهم كما علم آدم الأسماء كلها فمرَّ بى أصحاب الرايات فاستغفرت لعلى و شيعته أن ربى وعـدنى فى شـيعة على خصـلة، قيـل يا رسول الله و ما هى قال المغفرة لمن آمن منهم..) [۴] .أقول:الظاهر أن قوله عليه السـلام(علَّمنى أسـمائهم) ثم تشبيهه صلى الله عليه وآله هذا التعليم بتعليم آدم عليه السلام الأسماء كلّها يدلُّ على أنَّ الأسماء التّى علمَّها الله آدم عليه

السلام لیست هی أسماء الجمادات والنباتات والحیوانات فقط بل هی شاملة للإنسان أیضاً.

اول ما خلق الله

أقول:إنهم علیهم السلام أوَّل ما خلق الله ولأجلهم خُلِقت سائر الموجودات(لولاک لما خلقت الأفلاک)وأیضاً(لولاک لما خلقت آدم) [۵] .وهذه المسألة ثابتة عقلاً ونقلاً ففی الحدیث:(عن جابر بن عبد الله قال قلت لرسول الله صلی الله علیه وآله وسلَّم أول شئ خلق الله تعالی ما هو؟ فقال نور نبیک یا جابر خلقَه الله ثم خلق منه کلَّ خیر) [۶] .وقال مولی العارفین الإمام العظیم نوَّر اللهُ ضریحه فی کتابه القیِّم مصباح الهدایة إلی الخلافة والولایة: [۷] .(مطلَع: إن الأحادیث الواردة عن أصحاب الوحی والتنزیل فی بدء خلقهم علیهم السلام وطینة أرواحهم وأنّ أول الخلق روح رسول الله وعلیّ صلی الله علیهما وآلهما، وأرواحهم إشارة إلی تعین روحانیتهم التی هی المشیئة المطلقة والرحمة الواسعة تعیّناً عقلیّاً لأنّه أول الظهور هو أرواحهم علیهم السلام، والتعبیر بالخلق لا یناسب ذلک فإن مقام المشیئة لم یکن من الخلق فی شیء بل هو الأمر المشار إلیه بقوله تعالی:(ألا له الخلق والأمر)، وأن یُطلق علیه الخلق أیضا کما ورد منهم خلق الله الأشیاء بالمشیئة والمشیئة بنفسها وهذا الحدیث الشریف أیضا من الأدلة علی کون المشیئة المطلقة فوق التعیُّنات الخلقیة من العقل وما دونه. ونحن نذکر روایة دالّة علی تمام المقصود الذی أقمنا البرهان الذوقی علیه بحمد الله تیمّناً بذکره و تبرّکاً به فی الکافی الشریف:أحمد بن إدریس عن الحسین بن عبد الله الصغیر عن محمد بن إبراهیم الجعفری عن أحمد بن علی بن محمد بن عبد الله بن عمر بن علی بن أبی طالب علیه السلام عن أبی عبد الله علیه السلام قال: أن الله کان إذ لا کان فخلق الکان والمکان؟ خلق نور الأنوار الذی نورت منه الأنوار وأجری فیه من نوره الذی نورت منه الأنوار وهو النور الذی خلق منه محمداً وعلیّاً، فلم یزالا نورین أولین إذ لا شئ کون قبلهما فلم یزالا یجریان طاهرین مطهرین فی الأصلاب الطاهرة حتی افترقا فی أطهر طاهرین فی عبد الله وأبی طالب علیهما السلام) [۸] .ثمَّ إنَّه: قد ورد فی زیارة رسول الله صلی الله علیه وآله وسلَّم المنقول عن کلٍّ من الشیخ المفید والسید والشهید:(أوَّل النبیین میثاقا وآخرهم مبعثاً الذی غمسته فی بحر الفضیلة و المنزلة الجلیلة و الدرجه الرفیعة و المرتبة الخطیرة فأودعته الأصلاب الطاهرة ونقلته منها إلی الأرحام المطهرة..) [۹] .

لا یسبقونه بالقول

ثمَّ إنَّ الملائکة قد أظهروا عجزهم فی قبال هذا الأمر:(قالوا سبحانک لا علم لنا إلا ما علمتنا انک أنت العلیم الحکیم) [۱۰] .وکلامهم هذا فی غایة الأدب والخضوع حیث ابتدؤا بالتسبیح ثمَّ نفوا العلم بنحو مطلق عن أنفسهم ونَسبوه إلی ربِّهم وفی خصوص الأسماء حیث أنَّه تعالی لم یعلِّمهم ذلک فلا علم لهم، ثمَّ أکَّدوا علی أنَّ الله هو العلیم الحکیم وفی ذلک إشارة إلی أنَّهم کانوا یرغبون فی معرفة تلک الأسماء إن اقتضت الحکمة الإلهیة.

الملائکة اقتنعوا

وهاهنا یأتی دور الخطاب الموَّجَه إلی آدم علیه السلام وهو نهایة المطاف وآخر مراحل الحدیث مع الملائکة ومن خلال هذا الخطاب وجوابه وصل الملائکة إلی درجة الاطمئنان إن صح هذا التعبیر بخصوص الملائکة!!(قال یا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأَهم بأسمائهم قال ألم أقل لکم إنی أعلم غیب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما کنتم تکتمون) [۱۱] .أقول: إنَّ الله سبحانه فی هذه المرحلة یخاطب آدم علیه السلام ویطلب منه أن یُنبأ الملائکة بتلک الأسماء، والإنباء لیس هو مجرَّد الإعلام بل یُطلَق علی خبرٍ ذی فائدةٍ عظیمة وذلک الذی یحصل منه علم أو غلبة الظن. قال الراغب الاصفهانی فی مُفرداته(النبأ خبرٌ ذو فائدة عظیمة یحصل به علم أو غلبة ظنٍّ، ولا یقال للخبر فی الأصل نبأ حتَّی یتضمَّن هذه الأشیاء الثلاثة..)ومراجعة موارد استعمال الکلمة فی القرآن الکریم أحسن دلیل

على ذلک قال تعالى:(فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون) [۱۲] (ولقد جاءک من نبأ المرسلين) [۱۳] (لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون) [۱۴] (واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه) [۱۵] (قل هو نبأ عظيم) [۱۶] (ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم) [۱۷] (تلک القرى نقص عليک من أنبائها) [۱۸] (نَبِّأْ عبادى إنِّى أنا الغفور الرحيم) [۱۹] (قال هذا فراق بينى وبينک سأنبئک بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) [۲۰] .ومن الواضح أنَّه تعالى كان يريد تثبيت شخصية آدم عليه السلام وبيان منزلته العظيمة لا ـ كآدم عليه السلام فحسب بل باعتبار أنَّه المَنشأ للخلق الجديد الذى يُطلَق عليه إنسان ذو الخصوصيّات المتميِّزة بين سائر الموجودات.وهل الله سبحانه كان يريد أن يتعرف الملائكة على مستوى علم آدم عليه السلام وعلى ضوئه يخضعوا له بالسجود؟ هذا ما اعتقد به جمعٌ من المفسرين مع ما يتوجَّه إليهم من الملاحظات التى لا يمكن التخلُّص من الكثير منها.أقول: هناک احتمال آخر أقوى ممّا ذُكر يتلاءم مع الأحاديث الشريفة أيضاً، وهو أنَّه سبحانه بعد أن عرض على الملائكة تلک الأنوار الطاهرة خلفائَه على البرية وحججه على خلقه ولم يتعرف الملائكة لا على أشخاصهم ولا على أسمائهم، فبطبيعة الحال لم يسكن غليلهم ولم يطمئنوا حيث لم تتمُّ لديهم فلسفة خلق الإنسان، فأراد سبحانه من آدم عليه السلام أن يُعرِّفهم للملائكة بذكر أسمائهم قال يا آدم أنبأهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم أذعنوا بالأمر واستسلموا و انحلت تلک الشبهة الغامضة التى نشأت من رؤيتهم غير الصحيحة بالنسبة إلى خلق آدم وهى أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفک الدماء!ولابأس بالإشارة إلى حديثين فى هذا المجال:۱- ما نقله العلامة المجلسى عن كتاب إكمال الدين:(عن الصادق عليه السلام أن الله تبارک وتعالى علم آدم عليه السلام أسماء حجج الله كلها ثم عرضهم وهم أرواح على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين أنكم أحق بالخلافة فى الأرض لتسبيحكم وتقديسكم من آدم قالوا سبحانک لا علم لنا إلا ـ ما علمتنا إنک أنت العليم الحكيم قال الله تبارک وتعالى يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنباهم بأسمائهم وقفوا على عظيم منزلتهم عند الله تعالى ذكره فعلموا أنهم أحق بأن يكونوا خلفاء الله فى أرضه وحججه على بريته ثم غيَّبهم عن أبصارهم واستعبدهم بولايتهم ومحبتهم وقال لهم ألم اقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) [۲۱] .ما نقله العلامة المجلسى عن تفسير فرات ابن إبراهيم الكوفى:(عن أبى عبد الله عليه السلام قال إن الله تبارک وتعالى كان ولا شئ فخلق خمسة من نور جلاله واشتق لكل واحد منهم اسما من أسمائه المنزلة فهو الحميد وسمّانى محمَّدا وهو الأعلى وسمى أمير المؤمنين عليا وله الأسماء الحسنى فاشتق منها حسنا وحسينا وهو فاطر فاشتق لفاطمة من أسمائه فلما خلقهم جعلهم الميثاق عن يمين العرش وخلق الملائكة من نور فلما أن نظروا إليهم عظموا أمرهم وشأنهم ولقنوا التسبيح فذلک قوله تعالى وإنا لنحن الصافون وإنّا لنحن المسبحون فلما خلق الله تعالى آدم عليه السلام نظر إليهم عن يمين العرش فقال يا رب من هؤلاء قال يا آدم هؤلاء صفوتى وخاصتى خلقتهم من نور جلالى وشققت لهم اسما من أسمائى قال يا رب فبحقک عليهم علمنى أسماءهم قال يا آدم فهم عندک أمانة سرّ من سرِّى لا يطَّلع عليه غيرک إلا ـ بإذنى قال نعم يا رب قال يا آدم أعطنى على ذلک العهد فاخذ عليه العهد ثم علمَّه أسماءهم ثم عرض على الملائكة ولم يكن علمهم بأسمائهم فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانک لا علم لنا إلا ما علمتنا إنک أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال و أوفوا بولاية على عليه السلام فرضا من الله أوف لكم بالجنَّة) [۲۲] .أقول: يستفاد من هذا الحديث أنَّ الملائكة كانوا قد شاهدوا هذه الأنوار قبل أن يُخلق آدم عليه السلام و ذلک بعد أن خلقهم الله حيث ورد فى الحديث:(وخلق الملائكة من نور فلما أن نظروا إليهم عظَّموا أمرهم وشأنهم ولقنوا التسبيح فذلک قوله تعالى وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون)فكانوا يعرفون شأنهم ومرتبتهم عند الله ولكنَّهم لم يتوقَّعوا أنَّ هناک علاقة بينهم وبين خلق آدم عليه السلام ومن هنا نشاهد أنَّهم وبمجرَّد أن عَرفوا أسمائهم وصلوا إلى القناعة الكاملة وقالوا:(سبحانک لا علم لنا إلّا ما علَّمتنا إنَّک أنت العليم الحكيم)ولعلَّهم أشاروا بقولهم هذا أنَّه لا علم لنا أنَّ خلق آدم عليه السلام له علاقة بتلک الأنوار التى رأيناها سابقاً ولو كنّا نعلم ذلک لما اعترضنا أصلاً.والجدير بالذكر أنَّه ورد حديث فى الكافى الشريف يقول:(محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن محمد بن أبى عمير أو غيره عن محمد بن الفضيل عن أبى حمزة عن أبى جعفر عليه السلام قال قلت له جعلت فداک إن الشيعة

يسألونك عن تفسير هـذه الآيـة عمَّ يتساءلون عن النبأ العظيم قال: ذلك إلىَّ، إن شئتُ أخبرتهم وإن شئت لم أخبرهم ثم قال: لكنِّى أخبرك بتفسيرها قلت عمَّ يتساءلون قال: فقال هى فى أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول ما لله عز و جل آيه هى أكبر منى و لا ـ لله من نبأ أعظم منى) (الكافى ج۱ ص۲۰۷ روايهٔ۳).والحديث ينطبق مع ما نحن فيه حيثُ أنَّ الولايهٔ العظمى هى التِّى كانت السبب لخلق آدم عليه السلام ومن هنا قال(أنبأهم بأسمائهم)

غيب السموات و الارض

هذا: وبعد أن أنباهم آدم بأسمائهم عليهم السلام:(قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات و الأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)والظاهر أنَّ علم الله بغيب السموات والأرض هو نفس العلم الذى جاء فى الآيهٔ ۳۰ حيث قال إنِّى أعلمُ ما لا تعلمون.ومن هنا يُعلم أنَّ تلك المسمَّيات الخاصَّهٔ التِّى عرضت على الملائكهٔ هى أمور غيبيهٔ عن العوالم المختلفهٔ السماويهٔ والأرضيهٔ، وهى على ما ذكرنا أرواحُ أئمتنا الأطهار عليهم السلام حيث أنَّها فوق السموات والأرض وفوق جميع الموجودات حيث أنَّ جميع الموجودات تُعدُّ من عالم الخلق، وأمّا تلك الأرواح فهى من عالم الأمر والمشيئهٔ كما لاحظت فى تعبير الإمام قدس سرُّه فتأمَّل فى ذلك.ولعلَّ الروايهٔ الأولى تشير إلى هذا الأمر حيث جاء فيها:(علم آدم الأسماء كلها ما هى قال أسماء الأوديهٔ والنبات والشجر والجبال من الأرض)وهذا التعبير يُشير إلى أنَّ تلك الأسماء لم تكن من الأرض بل هى غيب الأرض.

علم الغيب

هذا: وينبغى لنا أن نتحدَّث ولو باختصار حول علم الغيب فنقول:إنَّ هناك تعابير مختلفهٔ فى القرآن الكريم تتعلَّق بغيب السماوات والأرض.الف: أنّ الله عالم بغيب السماوات والأرض وهى ثلاث آيات۱-(قال ألم اقل لكم إنى أعلم غيب السموات و الأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) [۲۳] .۲-(إن الله عالم غيب السماوات و الأرض إنه عليم بذات الصدور) [۲۴] .۳-(إن الله يعلم غيب السماوات و الأرض والله بصير بما تعملون) [۲۵] .ب: أنَّ غيب السماوات والأرض لله خاصَّهٔ وهى أيضاً ثلاث آيات۱-(و لله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون) [۲۶] .۲-(و لله غيب السماوات والأرض و ما أمر الساعهٔ إلا كلمح البصر أو هو أقرب إنَّ الله على كل شىء قدير) [۲۷] .۳-(قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السماوات و الأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولى و لا يشرك فى حكمه أحدا) [۲۸] .فهل يمكن للآخرين أن يطلِّعوا على علم الغيب أم لا؟ فماذا يعنى إذاً قوله تعالى:(عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلاّ من ارتضى من رسول فإنَّه يسلك من بين يديه و من خلفه رصدا) [۲۹] .لا يهمنا البحث عنه هنا حيث أنَّه لا يتعلق بما نحن بصدد بيانه.

ماذا كانت الملائكهٔ تكتمه؟

وأمّا قوله تعالى وأعلم ما تُبدون وما كنتم تكتمون وما كانوا يبدونه فواضح وأمّا الذى كانوا يكتمونه فغير معلوم إلاّ أنَّ هناك حديث عن الإمام السجاد عليه السلام يبيّن لنا ذلك وهو:(قال عليه السلام:.. وما كنتم تكتمون ظناً أنّ لا يخلق الله خلقاً أكرم عليه منّا) [۳۰] .وهذا الكلام لا يُنافى ما كانوا يعلمونه سابقاً من خلق الأنوار كما مرَّ لأنَّهم فى كلامهم هذا يُشيرون إلى عالم الخلق لا عالم الأمر حيث أنَّ الملائكهٔ من عالم الخلق فلم يكونوا يتوقَّعون أن يخلق الله خلقاً أكرم عليه منهم فيأمرهم بالسجود له ففوجئوا بذلك.

السجود لآدم

اشاره

والظاهر أنَّ کل ما جری بین الله والملائکة لم یکن إلّا تمهیداً لأمرٍ واحدٍ وهو السجود لآدم علیه السلام، لا لأنَّه آدم بل لأنَّه مَجریً للخلافة الإلهیَّة ومحلاً للفیض الربّانی، فالسجود فی الواقع کان لله سبحانه وتعالی فإنَّ أحادیثنا الشریفة تُبیِّن لنا حقیقةَ الأمر فی ذلک:(ففی روایة عن إمامنا موسی بن جعفر علیه السلام عن أبیه عن آبائه عن الحسین بن علی علیه السلام(فی روایة طویلة حول أسئلة سألها یهودی من أمیر المؤمنین علیه السلام فقال علی فی جواب إحدی تلک الأسئلة) ولئن اسجد الله آدم ملائکته فان سجودهم لم یکن سجود طاعة أنَّهم عبدوا آدم من دون الله عز وجل ولکن اعترفوا لآدم بالفضیلة ورحمة من الله له) (بحار الأنوار ج۱۰ ص۲۹ روایة۱ باب۲).ولم یأمر الله ملائکته بالسجود لآدم إلّا بعد أن سوّاه ونفخ فیه من روحه حیث یقول:(وإذ قال ربک للملائکة إنی خالق بشرا من صلصال من حمأٍ مسنون فإذا سویتُه ونفختُ فیه من روحی فقعوا له ساجدین) [۳۱] .ففی الواقع لم یکن السجود لجسم آدم بل إنَّما هو لروحه المنتسب إلی الله تعالی وهو من أمر الله(ویسألونک عن الروح قل الروح من أمر ربی وما أوتیتم من العلم إلا قلیلا) [۳۲] .وهناک أحادیث دالَّة علی ذلک قد ذکرها المحدِّث الکلینی رضوان الله تعالی علیه ننقل ثلاثة منها:۱-(عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن أبیه عن عبد الله بن بحر عن أبی أیوب الخزاز عن محمد بن مسلم قال سألت أبا جعفر علیه السلام عما یروون إن الله خلق آدم علی صورته فقال هی صوره محدثه مخلوقه واصطفاها الله واختارها علی سائر الصور المختلفة فأضافها إلی نفسه کما أضاف الکعبة إلی نفسه و الروح إلی نفسه فقال بیتی ونفخت فیه من روحی). [۳۳] .۲-(محمد بن یحیی عن أحمد بن محمد عن محمد بن خالد عن القاسم بن عروه عن عبد الحمید الطائی عن محمد بن مسلم قال سالت أبا عبد الله علیه السلام عن قول الله عز وجل ونفخت فیه من روحی کیف هذا النفخ؟ فقال إن الروح متحرک کالریح وإنما سمی روحا لأنه اشتق إسمه من الریح وإنما أخرجه عن لفظة الریح لأن الأرواح مجانسة الریح و إنما أضافه إلی نفسه لأنه اصطفاه علی سائر الأرواح کما قال لبیت من البیوت بیتی ولرسول من الرسل خلیلی وأشباه ذلک وکل ذلک مخلوق مصنوع محدث مربوب مدبَّر). [۳۴] .والظاهر أنَّ المراد من التصویر أیضاً ذلک حیث أنّه لا یُطلق علی الإنسان إنسان إلّا بعد أن تکتمل صورته الإنسانیَّة(لأنَّ شیئیَّة الشیء بصورته لا بمادته تأمَّل) وهذه الصورة تمثِّل ذلک الروح ومن هنا قال سبحانه وتعالی:(ولقد خلقناکم ثم صورناکم ثم قلنا للملائکة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبلیس لم یکن من الساجدین) [۳۵] .ومن هنا تعرف السرّ فی الحدیث الأوَّل من الأحادیث الثلاثة التِّی ذکرناها من کتاب الکافی الشریف:(...محمد بن مسلم قال سألت أبا جعفر علیه السلام عما یروون إن الله خلق آدم علی صورته..) [۳۶] .وللإمام قدِّس سرُّه شرح عمیق ومختصر لهذا الحدیث فی کتابه القیِّم الأربعون حدیثاً الحدیث ۳۸ فراجع.ولا بأس بذکر بعض النقاط التِّی ذکرها إمام الأمَّة هناک مع تلخیص:قال:(ویستفاد ممّا ذکرناه أنَّ الإنسان الکامل مظهر الاسم الجامع، ومرآة تجلِّی الاسم الأعظم).ثمَّ ذکر آیة الأمانة التِّی شرحناها سابقاً وقال:(وتکون الأمانة لدی العرفاء الولایة المطلقة التِّی لا یلیق بها غیر الإنسان، وقد أشیر إلیها فی القرآن الکریم بقوله تعالی: کلُّ شیء هالک إلّا وجهه)وفی کتاب الکافی بسنده:(عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن ابن أبی نصر عن محمد بن حمران عن أسود بن سعید قال کنت عند أبی جعفر علیه السلام فانشأ یقول ابتداء منه من غیر أن أساله نحن حجه الله ونحن باب الله ونحن لسان الله ونحن وجه الله ونحن عین الله فی خلقه ونحن ولاة أمر الله فی عباده) [۳۷] .وفی دعاء الندبة(أین وجه الله الذی یتوجَّه إلیه الأولیاء؟ أین السبب المتصل بین الأرض والسماء)وفی زیارة الجامعة(والمثل الأعلی)وهذا المثل الأعلی وذلک الوجه الإلهی هو الوارد فی الحدیث الشریف(إنَّ الله خلق آدم علی صورته)ومعناه أنَّ الإنسان هو المثل الأعلی للحق سبحانه، وآیته الکبری، ومظهرها الأتم، وأنَّه مرآةٌ لتجلِّی الأسماء والصفات وأنَّه وجه الله وعین الله وید الله وجنب الله.انتهی کلامه رُفع فی الخلد مقامه.

ابلیس لیس من الملائکة

إنَّ الخصال الباطنیَّة لإبلیس هی التِّی جرَّته إلی عدم إطاعة أمر الله بالسجود لآدم علیه السلام وأساس ذلک هو الکفر بالله سبحانَّه فهو

الـذی أدَّی إلی الاسـتکبار والإبـاء من السـجود والفسـق عن أمر ربِّه، وبـذلک یمکننـا الجمع بین الآیـات الثلاثـهٔ وهی:ألـف:(وإذ قلنا للملائکـهٔ اسـجدوا لآدم فسـجدوا إلاّ إبلیس أبی واسـتکبر وکان من الکافرین) [۳۸] .ب:(وإذ قلنا للملائکهٔ اسـجدوا لآدم فسـجدوا إلا إبلیس أبی) [۳۹] .ج:(وإذ قلنا للملائکهٔ اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبلیس کان من الجن ففسق عن أمر ربه) [۴۰] .أقول:الظاهر أنَّ الآیهٔ الأخیرهٔ لاـ تریـد القول بأنَّ کلَّ من کان من الجنِّ فهو فاسق، کیف وهناک نفرٌ منهم آمنوا بالرسول صـلی الله علیه وآله وقـد تحـدَّث عنهـم القرآن بالتفصـیل فی سـورهٔ الجـنّ، بـل أنَّه تعـالی حیـث ذکر الملائکـهٔ قبـل ذلـک وبیَّن أنَّهـم أُمروا بالسـجود للإنسـان ومن خصوصـیّاتهم أنّهم لا یسبقونه بالقول وهم بأمره یعملون، حیث أنَّهم عقول محضهٔ لا تعتریها الهوی والشهوهٔ، فربّما یستغرب السامع من عـدم إطاعهٔ إبلیس فأراد الله سـبحانه أن یدفع هذا الوهم المُقدَّر فقال:(کان من الجنّ ففسق عن أمر ربِّه)وقد فرَّع سـبحانه الفسوق علی کونه من الجنّ حیث أنَّه کـان مخیَّراً بین الإطاعـهٔ وعـدمها. فالاسـتثناء لیس مُتصِّلاًـ بـل هو منفصل فیه لطافـهٌ أدبیَّهٔ یصل إلیها المتأمِّل، والحدیث التالی دلیل علی ذلک:(ففی تفسیر علی بن إبراهیم عن أبیه عن ابن أبی عمیر عن جمیل عن أبی عبد الله علیه السـلام قال.. کـان إبلیس منهـم بالولاـء و لـم یکـن مـن جنس الملائکـهٔ) (بحـار الأـنوار ج۶۳ ص۲۳۴ روایهٔ۷۳ باب۳–ج۶۳ ص۲۷۳ روایهٔ۱۶۰ باب۳).والحاصـل أنَّ جمیع الملائکـهٔ بلا اسـتثناء سـجدوا لآدم علیه السـلام إلاّ إبلیس حیث کان کافراً من قبل إلاّ أنَّه کان یکتُم کفره فأبی واسـتکبر حینما أُمر بالسجود:(وعن أبی عبد الله علیه السلام قال فلما أمر الله الملائکهٔ بالسجود لآدم أخرج ما کان فی قلب إبلیس من الحسد) [۴۱] .ومن ثمَّ صار الکفر أقدم من الشـرک(ففی الکافی الشریف بإسناده عن مسعدهٔ قال سمعت أبا عبد الله علیه السلام... إلی أن قال وسئل عن الکفر والشرک أیهما أقدم فقال الکفر أقدم و ذلک إنَّ إبلیس أوَّل من کفر و کان کفره غیر شرک لأنه لم یدع إلی عبـادهٔ غیر الله و إنما دعا إلی ذلک بعـد فأشـرک) [۴۲] .وأوَّل مـا عصـی به الله من الـذنوب هو الکبر(فقال علی بن الحسین علیه السلام ...فأوَّل ما عصی الله به الکبر وهی معصیهٔ إبلیس حین أبی و استکبر وکان من الکافرین) [۴۳] .

خلقت بیدی

والجدیر بالذکر ما ورد فی الآیهٔ المبارکهٔ حیث عاتب الله سبحانه إبلیسَ(قال یا إبلیس ما منعک أن تسجد لما خلقت بیدی استکبرت أم کنت من العـالین) [۴۴] .فقـد بیَّن سـبحانه میزهًٔ خاصَّهًٔ فی خلق آدم حیث قال خلقت بیـدی.قال الإمام قـدِّس سرُّه نقلاً عن العارف الکامـل کمـال الـدین عبـد الرزاق الکاشانی فی تأویلاته:(الإنسان هو الکون الجامع الحاصـر لجمیع مراتب الوجود فربُّه الـذی أوجـده فأفاض علیه کماله، هو الـذات باعتبار جمیع الأسـماء بحسب البدایـهٔ المُعبَّر عنه بالله، ولهـذا قال تعالی: ما منعک أن تسـجد لما خلقت بیـدی بالمتقابلین کاللطف والقهر والجلال والجمال الشاملین لجمیعها انتهی) [۴۵] .أقول:وأمّا سائر الموجودات فقد خُلقت بیدٍ واحدهٔ إمّـا یـد الجلاـل أو یـد الجمـال فالملائکـهٔ مثلاًـ مظـاهر جمـال الله سـبحانه، وکـذلک کثیر من النباتـات والجمـادات کما أنَّ قسم من الجمـادات والحیوانـات قـد تجلَّی فیهـا الجلال وأمّا الإنسان فهو الکون الجامع(وفیک انطوی العالم الأکبر)ثمَّإنَّ قوله تعالی ما منعک؟ عتابٌ وهذا العتاب یدلُّ علی أنَّ إبلیس کان عالماً بخصوصـیّات آدم علیه السلام وکان یعلم أنَّه لابدَّ أن یخضع له بالسجود حتَّی لو لم یکن هنـاک أمرٌ إلهی ناهیـک عمّـا لو کـان أمرٌ فی البین کمـا هو کـذلک.من هم العـالون؟موقف إبلیس السـلبی تجاه أمر الله وعـدم سجوده لآدم علیه السـلام لا یخلو من أحد الوجهین:ألف: أنَّه نابع عن الروحیَّهٔ الاستکباریهٔ الکامنهٔ فیه أستکبرت وکان کذلک.ب: أنَّه ممن لم یُطلب منه أن یسـجد لآدم لعلوِّه وسـموِّ مرتبته أم کنت من العالین.وهاهنا سؤال یطرح نفسَه وهو: من هم العالون؟ومن المعلوم أنَّ العالین هم الذین من أجلهم قد أمر الله أن یَسجد الملائکهٔ لآدم علیه السلام ولولاهم لم یخلق الله آدما ولا کان زید فی الوجود ولا عمر وهـذا واضـح عنـد التمعُّن فی مـا ذکرنـا سابقـاً، علی أنَّ هنـاک حـدیثٌ نقله الشـیخ الصـدوق رحمه الله فی کتـابه کتـاب فضائل الشـیعهٔ:(باسـناده عن أبی سـعید الخـدری قـال: کنا جلوسا مع رسول الله صـلی الله علیه وآله وسلـم إذ اقبل إلیه رجل فقال یا رسول الله أخبرنی عن قول الله عز و جل لإبلیس اسـتکبرت أم کنت من العالین فمن هم یا رسول الله الـذین هم أعلی من الملائکـهٔ؟ فقال رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا وعلى وفاطمة والحسن والحسين كنا فى سرادق العرش نسبح الله وتسبح الملائكة بتسبيحنا قبل أن يخلق الله عز وجل آدم بألفى عام، فلما خلق الله عز وجل آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له ولم يأمرنا بالسجود فسجدت الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس فانه أبى أن يسجد فقال الله تبارك وتعالى استكبرت أم كنت من العالين أى من هؤلاء الخمس المكتوب أسماؤهم فى سرادق العرش الخبر) (بحار الأنوار ج۱۱ ص۱۴۲ روایة۹ باب۲).وقد نقل فى كتاب كنز العمال أيضاً.

ابليس يبرر موقفَه

من خصوصيات العبد المؤمن أن يُسلِّم جميع أموره إلى مولاه ويعلم أنَّه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، فهو الفقير بالذات كما أنَّ ربَّه هو الغنى بالذات فالتساؤل والتردُّد فى قبال أوامره تعالى دليل على عدم الإيمان به فكيف بالوقوف ومحاولة تبرير الموقف وتوجيه الجريمة وذلك بالقياس الباطل، وهذا ما صدر من إبليس وعلَّم أولياءه حيث اعتمدوا على نفس الأسلوب فانظر إلى طريقة توجيه إبليس ومستوى جهله بل تجاهله(قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) [۴۶] (قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين- قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون، قال فاخرج منها فإنك رجيم) [۴۷] .وإطلاق كلمة بشر يدلُّ على أنَّ إبليس تغافل عن الجانب الإنسانى والنورانى فيه وقايس ما خُلق به هو النار ما خلق به آدم الطين ومن الطبيعى أنَّ هذا النمط من القياس ليس صحيحاً من جهات شتَّى:منها: ما ورد الإشارة إليها سابقاً من أنَّ اللازم على العبد تسليم جميع أموره إلى مولاه لا ينحرف عنه قيد أنملة لأنَّ دينَ الله لا يُصاب بالعقول وقد وردت أحاديث كثيرة فى ذلك نكتفى بحديثين منها:(ابن عصام عن الكلينى عن القاسم بن العلاء عن إسماعيل بن على عن ابن حميد عن ابن قيس عن الثمالى قال قال على بن الحسين عليه السلام عليه السلام: إن دين الله لا يصاب بالعقول الناقصة و الآراء الباطلة و المقاييس الفاسدة و لا يصاب إلا بالتسليم فمن سلم لنا سلم و من اهتدى بنا هدى ومن دان بالقياس و الرأى هلك..) [۴۸] .ومن المعلوم أنَّ الدين لا يُراد منه العبادات والمعاملات فحسب بل يشمل جميع القضايا التِّى تمسُّ الدين فليس للعقول طريق للوصول إلى كنهها ومحتواها، والدليل عليه الحديث التالى:(محمد بن الحسن القطان عن عبد الرحمن بن أبى حاتم عن أبى زرعه عن هشام بن عمار عن محمد بن عبد الله القرشى عن ابن شبرمه قال: دخلت أنا وأبو حنيفه على جعفر بن محمد عليه السلام فقال لأبى حنيفة اتق الله ولا تقس الدين برأيك فان أول من قاس إبليس أمره الله عز وجل بالسجود لآدم فقال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ثم قال أتحسن أن تقيس رأسك من بدنك قال لا قال جعفر عليه السلام: فأخبرنى لأى شئ جعل الله الملوحة فى العينين والمرارة فى الأذنين والماء المنتن فى المنخرين والعذوبة فى الشفتين قال لا أدرى..الخ الحديث) [۴۹] .ونفس الحديث بتفصيل آخر وأمثلة أخرى نقله صاحب كتاب دعائم الإسلام فراجع [۵۰] .ولا يخفى على القارئ الكريم أنّنا لا نريد القول ببطلان الاستنتاج العقلى بنحو مطلق حتّى ما اعتمد عليه علماء الأصول من الحسن والقبح العقليَين فإنَّ ذلك بابٌ آخر لا مجالَ للحديث عنه هنا فراجع مظانّه.منها: أنَّ الله سبحانه يمكنه أن يخلق الأشياء لا من شىء أصلاً فالطين والنار ليس لهما دور فى مستوى المخلوق منهما ولا علاقة كبيرة بين المخلوق والمخلوق منه، نعم هناك آثار خاصَّة لخصوص جسم كلٍّ منهما، ومن هنا نشاهد سرعة انتقال الجنّ ودخولهم وخروجهم وحركتهم بحيث لا يمكن رؤيتهم بسهولة، حتى أنَّه تعالى فى معجزة العصى شبَّه سرعة العصى واهتزازها بالجان:(وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان..) [۵۱] .لو قلنا أنَّ الآية تعنى الجن.كلُّ ذلك لأنَّ الجن قد خُلق من النار والنار سريع الانتقال دون الإنسان الذى خُلق من الطين، ولكن ليست هذه فضيلة فى الجنّ مادام أنَّه لا يملك ما يملكه الإنس، ومن هنا نشاهد أنَّ الإنسان لو أراد أن يستغلَّ روحانيته ونورانيته استغلالاً صحيحاً لتمكَّن من الوصول إلى مستويات من الرقى والعلوّ والنورانيَّة ما لا يخطر ذلك لدى الملائكة المخلوقين من النور ناهيك عن الجنّ ولهذا نشاهد وصول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فى عروجه إلى مرحلةٍ بحيث(قال جبرئيل تقدَّم يا رسول الله ليس لى أن أجوز هذا المكان و لو دنوت أنملة لاحترقت) [۵۲] .يقول سبحانه وتعالى عنه:(ثمَّ دنى فتدلَّى فكان قاب قوسين أو أدنى). [۵۳] .وقد وردت الأحاديث الكثيرة التِّى

تُفضِّل الإنسان المؤمن على الملائكـة وأنَّ:(الملائكة خدام المؤمنين) [۵۴] (وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضـيً به) [۵۵] (وإذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة) [۵۶] .منها: أنَّه ما الدليل على أفضليَّة النار على الطين بل ربَّما تكون القضيَّة بالعكس كما ثبت علمياً أهميَّة الطين من نواحٍ مختلفـة والجـدير بالذكر أنَّه لولا الطين لما أمكن للخبراء أن يُسيطروا على آبار النفط حين حفرها!! فتأمَّل فى نتائـج ذلك.ثمَّ إنَّ هناك آيـةً تـدلّ على مستوى عـداوة إبليس لآدم وذريتَه:(قال أ رأيتك هذا الذى كرمت علىَّ لئن أخرتن إلى يوم القيامةِ لأحتنكنَّ ذريته إلا قليلا) [۵۷] .وفى اللغـة حنك: يجوز أن يكون من قولهم حنكت الدابة أصبت حنكها باللجام والرسـن . ...فيكون معناه لأستولين عليهم.

العهد الالهى لآدم

اشاره

(وَلَقـد عَهِـدنا إلى آدم مِن قبـل فنسـى ولم نجـد له عزمـا)مـا هو ذلـك العهـد؟ قيـل: أنه قوله تعالى:(لا تقربا هـذه الشـجرة فتكونا من الظالمين) [۵۸] .ويحتمل أن يكون العهـد: هو عدم سـماع مقولة إبليس وعدم التأثر بإضـلاله الشـيطانى كما تدلُّ عليها بعض الروايات أيضـاً فهى التّى نَسـيها آدم.وقـال العلامـة الطباطبـائى قـدس سرُّه فى الميزان:وهـذا الاحتمـال غير صـحيح لقوله تعـالى:(فوسوس لهما الشـيطان وقال ما نهاكما ربُّكما عن هذه الشـجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسـمهما إنِّى لكما لمن الناصحين) [۵۹] .فهما حينما اقتربا إلى الشـجرة كانا يذكران ذلك النهى ولم ينسياه.ثمَّ: إنَّه قدس سرُّه ذكر احتمالاً آخرَ فى هذا المجال وقوّاه.ملخَّصُه: أنَّ العهـد بمعنى الميثاق الـذى أخـذه الله من بنى آدم عامَّة ومن الأنبياء خاصة وبوجه آكد، وهو أن لا ينسـى الإنسان فى أىِّ حالة من الحالات ربَّه وخـالقَه ويكون دائماً على ذُكر من ذلك فإنَّ نسـيان ذلك يُؤدِّى إلى أن يبتلى بالحياة الـدنيا ويعانى أنواع التعب والعناء حيث أنَّه يرى الأشـياء أموراً مُسـتقلَّة لها أضـرار ومنافع وينبع منها الخير والشـرّ ومع هذه الرؤية نراه يتقلَّب بين الخوف عمّا يخاف فوته والحذر من الخطر والحزن على ما فات والتحسُّر مما افتقده من المال والمنصب والبنون. وفى هذه الحيوة الدنيا كلَّما نضج جلدُه واعتاد بمكروه يُبدِّل إلى جلدٍ آخر ليـذوق العـذاب، فمن وقع فى الـدنيا واتَّبع هدى الله فبطبيعة الحال ينجو من هذه الآلام ولهذا نراه سـبحانه يُعقِّب تلك الآيات بقوله:(فإمّا يأتينكم منِّى هـدىً فمن تبع هـداى فلا يضلُّ ولا يشـقى) [۶۰] .وهـذه الهداية تتمركز فى ذكر الله على كـلِّ حـال وعـدم نسـيانه تعالى، وفى قبال ذلك:(ومن أعرض عن ذكرى فإنَّ له معيشـةً ضـنكاً) [۶۱] .ومن هنـا يُعلم أنَّ اقـتراب تلك الشـجرة كـان يؤدِّى إلى التعب والشـقاء الـذى يحصـل من العيش فى الـدنيا ناسـياً للربِّ تعـالى [۶۲] انتهى كلاـم العلامـة مع تلخيص وتنقيح.وللإمام قدِّس سره فى هذا الأمر كلام سوف نبيِّنه فى البحث حول الشـجرة المنهية إنشاء الله.أقول:ومما بيَّنه العلامة نسـتنتج أنَّ نار الجحيم كامن فى هذه الدنيا كما عبَّر إمامنا بذلك أيضاً.

العهد و الولاية

وقـد وردت روايات تُبيِّن المراد من هذا العهد نذكر ثلاثة منها:أحدها:(الحسـين بن محمَّد عن المعلَّى عن جعفر بن محمَّد بن عبيد الله عن محمَّد بن عيسـى القمى عن محمَّد بن سـليمان عن عبد الله بن سـنان عن أبى عبدالله عليه السلام فى قوله ولقد عهدنا إلى آدم من قبل كلمات فى محمَّد وعلى وفاطمة والحسن والحسـين والأئمة من ذرِّيتهم فنسـى.) [۶۳] .ثانيها:(عن سـعد عن ابن عيسى عن على بن الحكم عن المفضَّل بن صالـح عن جابر بن يزيـد عن أبى جعفر عليه السـلام فى قول الله عزَّ وجلَّ ولقـد عهدنا آدم من قبل فنسـى ولم نجـد له عزما قال عَهِـد إليه فى محمَّد والأئمـة من بعـده فترك ولم يكن له عزم فيهم انَّهم هكذا.) [۶۴] .ثالثهما:(أحمد بن محمَّد عن على بن الحكم عن داود العجلى عن زرارة عن حمران عن أبى جعفر عليه السلام قال إن الله تبارك وتعالى حيث خلق الخلق خلق ماءاً

عـذباً ومـاءاً مالحـاً أجاجـا فـامتزج المـاءان....إلی أن قال علیه السـلام ثم أخـذ المیثاق علی النبیّین فقال ألست بربِّکم ثمَّ قال وإن هـذا محمَّد رسـول الله وإن هـذا علی أمیر المؤمنین قـالوا بلی فثبتت لهم النبوهٔ وأخـذ المیثـاق علی أولی العزم إنی ربُّکم ومحمَّدٌ رسول الله وعلیٌّ أمیر المؤمنین وأوصـیاؤه من بعـده ولاهٔ أمری وخزّان علمی وأنَّ المهـدیَّ أنتصـر به لدینی وأظهر به دولتی وأنتقم به من أعدائی وأُعبدُ به طوعاً وکرهاً قالوا أقررنا وشهِدنا یا ربِّ ولم یجحد آدم ولم یقرَّ فثبتت العزیمهُ لهؤلاء الخمسهٔ فی المهدیِّ ولم یکن لآدم عزم علی الإقرار به وهو قوله عزَّ وجلَّ ولقـد عهـدنا إلی آدم من قبل فنسـی ولـم نجد له عزما) [۶۵] .أقول:إنَّ ذکرَ الله لا ـ یتحقق إلاّ مع ذکر الأئمهٔ علیهم الصـلاهٔ والسـلام وخصوصاً الإمام الحاضـر الحجهٔ ابن الحسن العسـکری سـلام الله علیه الذی هو إمام الزمان والعصـر وما یتحقق فیهما، فهو إذاً الواسطهٔ للفیوضات الإلهیَّهٔ إلی الخلق ولولاه لما خُلقت الأفلاک ولما نزل الغیث ولوقعت السماء علی الأرض إلاّ بـإذنه ولولاـه لمـا کُشف الغمُّ ولمـا ذهب الهمُّ وهـذه هی الولایـهٔ التکوینیَّهٔ الثابتـهٔ لهم وله علیهم السـلام عقلاًـ ونقلًا المشارهٔ إلیها فی الروایـهٔ بقوله(أنَّهم هکـذا) ولهذا نری فی ذیل الروایهٔ الثانیهٔ عندما ذکر إمامُنا الباقر علیه السـلام العلهَ التِّی من أجلها صار بعضُ الأنبیاء أولی العزم أکَّدَّ علی خصوص المهدی علیه السـلام وسیرته الممیزهٔ النابعهٔ من ولایته التکوینیَّهٔ قال علیه السلام:(وإنما سمی أولو العزم لأنَّهم عهـد إلیهم فی محمَّد والأوصـیاء من بعـده والمهـدی وسـیرته فاجمع عزمهم إن ذلک کـذلک والإقرار به) [۶۶] .وقال الراغب العهـد حفـظ الشـیء ومراعاته حالا بعـد حال وسـمی المَوثق الـذی یلزم مراعاته عهـداً.والجـدیر بالـذکر أنَّ أکثر الموارد لکلمه العهد ومشـتقاتها المذکورهٔ فی القرآن الکریم تنطبق علی الأئمهٔ المعصومین علیهم السلام. وفی هذا المجال هناک روایات کثیرهٔ وردت فی تبین العهـد المـذکور فی القرآن ضـمن الآیات المختلفهٔ نذکر ثلاثهٔ منها کنموذج لذلک:۱-(المناقب قال روینا حدیثا مسـنداً عن أبی الورد عن أبی جعفر علیه السـلام قال قوله عز و جل أ فمن یعلم إنما انزل إلیک من ربک الحق هو علی بن أبی طالب والأعمی هنا هو عـدوُّه و أولوا الألباب شـیعته الموصوفون بقوله تعالی الـذین یوفون بعهـد الله ولا ینقضون المیثاق المأخوذ علیهم فی الذرّ بولایته ویوم الغدیر) [۶۷] .۲-(من کتـاب محمَّد بن العباس بن مروان عن محمَّد بن هشام بن سـهیل العسـکری عن عیسـی بن داود النجَّار عن أبی الحسن موسـی بن جعفر عن أبیه فی قول الله جلّ وعزّ وأوفوا بالعهـد ان العهـد کـان مسـئولا وأوفوا الکیل إذا کلتم و زنوا بالقسـطاس المسـتقیم قال العهـد ما اخـذ النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم علی الناس فی مودتنا و طاعـهٔ أمیر المؤمنین أن لا یخالفوه ولا یتقـدموه) [۶۸] .۳-(احمـد بن محمَّد الشـیبانی عن محمَّد بن احمد بن معاویهٔ محمَّد بن سـلیمان عن عبد الله بن محمَّد التفلیسـی عن الحسن بن محبوب عن صالـح بن رزین عن شـهاب بن عبـد ربِّه قال سـمعت الصادق علیه السـلام؟ یقول یا نحنُ شـجرهُ النبوَّهٔ و معدن الرسالهٔ.... فمن وفی بـذمتنا فقـد وفی بعهـد الله عزَّ و جلَّ و ذمته و من خفر ذمتنا فقـد خفر ذمه الله عز وجل وعهـده) [۶۹] .وفی القاموس:خفر به خفراً وخفوراً نقضَ عهده وغدره کأخفره.

اجر الرسالهٔ

أقول:ثمَّ إنه لا شک أنهَّم علیهم السلام ذوی قُربی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وأجر الرسالهٔ مُنحصرهٌ فی مودَّتِهم علیهم السلام لقوله تعـالی:(قـل لا أسألکم علیه أجراً إلاّ المودَّهَ فی القُربی) [۷۰] .وقال تعالی فی توصـیف الفاسقین(الذین ینقضون عهد الله من بعد میثـاقه ویقطعون ما أمر الله به أن یوصل..) [۷۱] .فنحن حتی لو قلنا أن الآیـهٔ بصـدد بیان تعاهد الأرحام والقرابات فأفضل رحم وأوجبه حقاً رحمُ محمد صـلی الله علیه وآله وسـلم فإنّ حقهم بمحمّد کما أن حق قرابات الإنسان بأبیه وفی هذا المعنی وردت أحادیث کثیرهٔ لا مجال لنقلها هنا فراجع مظانَّها.ثمَّ إنَّ هاهنا تشاجر طویل حول المقصود من نسیان آدم لا یخصُّنا التعرض له تفصیلًا إلا أنَّنا نذکر ما بیَّنه بعضُ المفسـرین فی هـذا المجال وذلک فی ذیل الآیـهٔ المبارکـهٔ فی سورهٔ الکهف حیث قال:فأما قوله لا تؤاخذنی بما نسیت فقد ذکر فیه وجوه ثلاثـهٔ:(إلی أن قـال) والوجه الثانی: انَّه أراد لا تؤاخـذنی بما ترکت و یجری ذلک مجری قوله تعالی:(ولقـد عهـدنا إلی آدم من قبل فنسـی أی ترک) [۷۲] .و قال الراغب فی مفرداته(عنـدما ذکر الوجوه المختلفهٔ لتسـمیهٔ الإنسان إنسانا) و قیل هو إفعلان و

أصله إنسیان سمی بذلک لأنَّه عُهد إلیه فنسی.وأمّا نحن فلنا کلام مبتکر فی معنی الإنسان غیر ما ذکره القوم سوف نتحدث عنه فی مظانِّه إنشاء الله تعالی.

صفات جنة آدم

اشاره

(وإذ قلنا للملائکة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبلیس أبی فقلنا یا آدم إن هذا عدوّ لک ولزوجک فلا یخرجنکما من الجنَّة فتشقی) [۷۳] .(وقلنا یا آدم أسکن أنت و زوجُک الجنة و کلا منها رغداً حیث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتکونا من الظالمین) [۷۴] .(ویا آدم أسکن أنت وزوجُک الجنة فکلا من حیث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتکونا من الظالمین) [۷۵] .قبل أن نبدأ الحدیث حول الشجرة المنهیَّة لابدَّ لنا أن نعلم أنَّ الغرض من خلق آدم هو جعل(ولیس خلق) خلیفة فی الأرض(لا ـ فی مکان آخر غیر الأرض) حیث قال سبحانه إنِّی جاعلٌ فی الأرض خلیفة فالله سبحانه وتعالی أمره أن یسکن الجنّة وأن یأکل منها حیث شاء رغداً وقد نهاه الله عن التقرُّب إلی الشجرة وهو تکلیف ومنع ولا تکلیف ولا منع فی الجنَّة أصلاً فیعلم أنَّ الجنَّة لم تکن أخرویَّة بل هی جنَّة أخری وفی الحدیث أنَّها جنّة من جنّات الدنیا وکانت فی الأرض والمفروض أن یبقی فیها آدم ولکنه هبط منها بسبب تصرُّفه غیر الصحیح من أکله الشجرة.قال تعالی:(فلا یخرجنکما من الجنَّة فتشقی)فیفهم من هذا النهی أنَّه إرشادی أی أنَّ عصیانه یؤدِّی إلی الخروج من الجنة الذی ینجرُّ إلی الشَقاء والتعب الشدید الجسمی والروحی وقد مرَّ تفصیله وأیضاً العیش فی الدنیا یستتبع الاکتساب والسعی لطلب الرزق وإعاشة الزوجة والعیال، ولو کان المراد من الشقاء هو ما یقابل السعادة الأخرویَّة لکان یشمل حواء أیضاً خصوصاً أنها کانت السبب الرئیسی للأکل من تلک الشجرة وکان الصحیح أن یعبَّر بـ(فتشقیا) فلِمَ أفرده سبحانه بآدم؟علی أنَّ الآیات التِّی تتلوا هذه الآیة خیر دلیل علی ما ادَّعیناه.قال سبحانه:(إن لک ألّا تجوع فیها ولا تعری وإنک لا تظمأ فیها ولا تضحی) [۷۶] .فهذه هی صفات جنَّة آدم وصفات الدنیا هی عکسها.(ثم أسکن سبحانه آدم داراً أرغد فیها عیشه وآمن فیها محلته وحذَّره إبلیس وعداوته، فاغتره عدوُّه نفاسةً علیه بدار المُقام ومرافقةِ الأبرار فباع الیقین بشکه والعزیمةَ بوهنه واستبدل بالجدل وجلاً وبالاغترار ندما ثم بسط الله سبحانه له فی توبته ولقّاه کلمة رحمتِه ووعده المردَّ إلی جنتِه فأهبطه إلی دار البلیةِ و تناسل الذرِّیة) (بحار الأنوار ج۱۱ ص۱۲۲ روایة ۵۶ باب۱).

بنو اسرائیل و المن و السلوی

وهذا النمط من الحیاة نشاهده بنحو مجمل فی بنی إسرائیل أیضاً حیث أنَّ القرآن الکریم یبیِّن حالات بنی إسرائیل قبل الهبوط فی سور ثلاثة(البقرة، الأعراف، طه) هم کانوا یتنعَّمون بنفس الأسلوب الذی کان علیه آدم علیه السلام قال تعالی:(وظللنا علیکم الغمام وأنزلنا علیکم المن والسلوی کلوا من طیبات ما رزقناکم وما ظلمونا ولکن کانوا أنفسهم یظلمون وإذ قلنا ادخلوا هذه القریة فکلوا منها حیث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لکم خطایاکم وسنزید المحسنین) [۷۷] .و قال:(وظللنا علیهم الغمام وأنزلنا علیهم المن والسلوی کلوا من طیبات ما رزقناکم وما ظلمونا ولکن کانوا أنفسهم یظلمون- وإذ قیل لهم اسکنوا هذه القریة وکلوا منها حیث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً نغفر لکم خطیئاتکم سنزید المحسنین) [۷۸] .والجدیر بالذکر أنَّه تعالی قد ذکر فی سورة طه قصَّة بنی إسرائیل وقال:(ونزلنا علیکم المن والسلوی کلوا من طیبات ما رزقناکم) [۷۹] .ثمَّ شرع فی الحدیث عن آدم علیه السلام.ولا یخفی علیک الانسجام الکامل بین التعابیر التِّی وردت فی شأن بنی إسرائیل والتِّی وردت فی شأن آدم وزوجته حیث قال تعالی:(فکلوا منها حیث شئتم رغدا)وتوجد کلمة فی هذه الآیات تدلُّ علی الحریة الکاملة التِّی کان یتنعَّم بها بنو إسرائیل وهی حیث شئتم وقد ذکرت فی آیتین وهی نفسها التِّی أعطیت آدم وزوجته حیث شئتما وهذه أیضاً قد ذکرت فی آیتین. [۸۰] .وفی

الحـدیث:(وقال الصادق علیه السـلام: کان ینزل المنّ علی بنی إسـرائیل من بعد الفجر إلی طلوع الشـمس فمن نام فی ذلک الوقت لم ینزل نصـیبه فلذلک یکره النوم فی هذا الوقت إلی طلوع الشـمس)ثمَّ قال:(وقال ابن جریـح:.. ویوجد له طعم کالشهد المعجون بالسمن وکـان الله تعـالی یبعث لهم السـحاب بالنهار فیـدفع عنهم حر الشـمس وکان ینزل علیهم فی اللیل من السـماء عمود من نور یضـیء لهم مکان السـراج وإذا ولـد فیهم مولود یکون علیه ثوب یطول بطوله کالجلد) [۸۱] .وأنت تلاحظ فی هذه الروایة أنَّ الصـفات المتواجدة فی الأرض قبل هبوط بنی إسرائیل هی نفس صفات جنَّة آدم علیه السلام.

الشجرة المنهیة

واختلفوا فی الشـجرة المنهیـة فقیل کانت السـنبلة رَوَوه عن ابن عباس، قیل هی الکرمة رَوَوه عن ابن مسـعود والسدی وقیل هی شـجرة الکافور وقال الشیخ فی التبیان رُوی عن علی علیه السلام انَّه قال شجرة الکافور وقیل هی التینة وقیل شجرة العلم علم الخیر والشر وقیل هی شـجرة الخُلـد الـتی کـانت تأکـل منهـا الملائکـة.ولاـ طریـق إلی معرفـة تلـک الشـجرة إلاّـ أحـادیث أئمتنـا علیهـم السـلام وهی مختلفة:فبعضـها: تقول أنَّها الحنطة کالأحادیث التالیة:۱-(تمیم القرشـی عن أبیه عن حمـدان بن سـلیمان عن علی بن محمَّد بن الجهم قال...قال الرضا علی بن موسـی علیه السلام... إن الله تبارک وتعالی قال لآدم أسکن أنت و زوجک الجنَّة وکلا منها رغداً حیث شئتما ولا تقربا هذه الشـجرة وأشار لهما إلی شجرة الحنطة) [۸۲] .۲-(الصـدوق عن أبیه عن سـعد عن ابن یزید عن ابن أبی عمیر عن هشام عن الصـادق علیه السـلام انه قـال فی قوله تعالی و بـدت لهما سوآتهما کانت سوآتهما لا تری، فصارت تری بارزة وقال الشـجرة التی نهی عنها آدم هی السـنبلة) [۸۳] .۳-(محمَّد بن عمر بن علی بن عبـد الله البصری عن محمَّد بن عبد الله بن احمد ابن جبلة عن عبدالله بن أحمد بن عامر الطائی عن أبیه عن الرعن آبائه عن الحسین بن علی علیه السلام قال کان علی بن أبی طالب علیه السلام بالکوفة فی الجامع إذ قام إلیه رجل من أهل الشام..... وسأله لم صار المیراث للذکر مثل حظ الأنثیین فقال من قبل السـنبلة کان علیها ثلاث حبات فبـادرت إلیهـا حواء فـأکلت منهـا حبه وأطعمت آدم حبتَین فمن أجل ذلک ورث الـذکر مثل حظِّ الأنثیین) [۸۴] .وبعضـها: تقول أنَّها شجرة الحسـد:(قـال موسـی بن محمَّد بن الرضا....قال أخی علی بن محمَّد علیه السـلام.... الشـجرة التی نهی الله عنها آدم و زوجته أن یأکلا منها شجره الحسد عهد إلیهما أن لا ینظرا إلی من فضل الله علی خلائقه بعین الحسد فنسی و نظر بعین الحسد و لم نجد له عزما) [۸۵] .وأماّ الکافور والتینـة والکرمـة فلم أعثر علی أحادیثها إلاّ أنَّه هناک حـدیث یجمع بین الکل وهو:(ابن عبـدوس عن ابن قتیبة عن حمـدان بن سـلیمان عن الهروی قـال قلت للرضا علیه السـلام یا ابن رسول الله اخبرنی عن الشـجرة التی أکل منها آدم وحواء ما کانت فقد اختلف الناس فیها فمنهم من یروی أنها الحنطة ومنهم من یری أنَّها العنب ومنهم من یروی أنَّها شـجره الحسد فقال کلٌّ ذلک حقٌّ قلت فمـا معنی هـذه الوجوه علی اختلافهـا فقال یا أبا الصـلت إنَّ شـجر الجنـة تحمل أنواعاً فکانت شـجرة الحنطـة وفیها عنب ولیسـت کشـجر الدنیا وإنَّ آدم علیه السـلام لما أکرمه الله تعالی ذکره بسـجود ملائکته له وبإدخاله الجنَّة قال فی نفسه هل خلق الله بشراً أفضل منِّی فعلم الله عزَّ وجـلَّ مـا وقع فی نفسه فنـاداه ارفع رأسک یا آدم فانظر إلی ساق عرشـی فرفع آدم رأسه فنظر إلی ساق العرش فوجد علیه مکتوبا لا اله إلا الله محمَّد رسول الله علی بن أبی طالب أمیر المؤمنین وزوجه فاطمة سـیده نساء العالمین والحسن والحسـین سیدا شبـاب أهـل الجنَّة فقـال آدم علیه السـلام یـا رب من هؤلاـء فقـال عز وجل من ذریتک وهم خیر منک ومن جمیع خلقی ولولا هم ما خلقتک ولا خلقت الجنَّة والنار ولا السـماء والأرض فإیاک أن تنظر إلیهم بعین الحسد فأخرجک عن جواری فنظر إلیهم بعین الحسـد و تمنی منزلتهم فتسـلط الشـیطان علیه حتی أکـل من الشـجرة التی نهی عنهـا و تسـلط علی حواء لنظرها إلی فاطمـة علیها السـلام بعین الحسـد حتی أکلت من الشـجرة کمـا أکـل أدم فأخرجهما الله عز وجل عن جنته وأهبطهما عن جواره إلی الأرض) (بحار الأنوار ج ۱۱ ص۱۶۴ روایة۹ باب۳).أقول: ویستفاد من هذا الحدیث أنَّ جنَّة آدم لإنْ کانت من جنّات الدنیا لم تکن من التّی یطلق علیها اسم الجنَّة مجـازاً کما اعتقـد بـذلک بعض المفسِّرین بل کانت هی الجنَّة حقیقـةً حیث کانت ذات وعاء أوسع من الـدنیا لأنَّه قـد اجتمعت جمیع

تلك الثمار فى شجرة واحدة من أشجارها وهذا شأن عالم الوحدة.ولا بأس ههنا أن ننقل كلمة حول الآخرة لإمامنا قدّس سرُّه ذكرها فى كتابه القيّم شرح دعاء السحر تحت عنوان(ليس فى الآخرة تزاحم بين الكثرات) قال:(سمعت من أحد المشايخ من أرباب المعرفة رضوان الله عليه يقول: أنَّ فى الجنَّة شربةً من الماء فيها جميع اللذات من المسموعات بفنونها من أنواع الموسيقى والألحان المختلفة، ومن المبصرات بأجمعها من أقسام لذات الأوجه الحسان وسائرها من الأشكال والألوان، ومن سائر الحواس على ذلك القياس حتّى الوقاعات وسائر الشهوات كلٌّ يمتاز عن الآخر. وسمعت من أحد أهل النظر رحمه الله تعالى يقول: أنَّ مقتضى تجسُّم الملكات وبروزها فى النشأة الآخرة أنَّ بعضَ الناس يُحشر على صُوَرٍ مختلفة، فيكون خنزيراً وفأرة وكلباً إلى غير ذلك فى آنٍ واحد. ومعلوم أنَّ ذلك لسعة الوعاء وقربها من عالم الوحدة والتَّجرد وتنزُّهها عن تزاحم عالم الطبيعة والهيولى انتهى كلامه أعلى الله مقامه) [۸۶] .ثمَّ إنّ فى الحديث قد ذكرت كلمة الحسد وهل المقصود منه الحسد المصطلح لدينا والذى هو من المحرمّات الذى هو يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب؟قال العلاّمة المجلسى رحمه الله:المراد بالحسد الغبطة التى لم تكن تنبغى له عليه السلام و يؤيده قوله عليه السلام وتمنَّى منزلتهم [۸۷] .أقول: ولنا حول هذا النوع من الحسد كلام نبيُّنه فى محله إنشاء الله.

الوسوسة

الشيطان بعد أن طُرد من رحمة الله وقربه وشمله اللعن الإلهى صار عدوّاً بيّناً للإنسان كما صرَّح بذلك القرآن الكريم فى مواضعَ ثمانية بأنَّ الشيطان للإنسان عدوّاً مبينا وبخصوص إبليس قال تعالى مخاطباً لآدم:(يا آدم إن هذا عدوّ لك و لزوجك فلا يُخرجنكما من الجنَّة فتشقى) [۸۸] .أقول: أمّا عداوة إبليس لآدم فذلك واضح، كيف وهو الذى أبى وأستكبر ولم يُطع الله فيما أمره من السجود و لهذا فقد لعنه الله سبحانه وأبعده عن رحمته ومن الطبيعى أنَّ من يبتعد عن الخير المطلق سوف ينغمر فى الشرّ المطلق.والظاهر أنَّ الخطاب هنا خاص لآدم ويتعلق بخصوص إبليس وذلك لمكان قوله تعالى إنَّ هذا.ثمَّ إنَّ التصريح بزوج آدم فى الآية المباركة وتكرار حرف الجرّ أعنى اللام فى ولزوجك ربما يستهدف أمرين:۱- الإهتمام البالغ بالمسألة وعدم التهاون بها حيث أنَّ العداوة تشمل الزوجة أيضاً ومن الطبيعى أنَّ آدم كان متعلقاً بزوجته ومستأنساً بها.۲- التنبيه المسبق لآدم عمّا سيحدث و هو أنَّ زوجتَه هى التّى سوف تدعوه إلى الأكل من تلك الشجرة.ولكنْ:مع ذلك استطاع أن يُغوى آدم وذلك من خلال الوسوسة إليه(فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) [۸۹] .والوسواس هو صوت الحلى والهمس الخفى ويستعين به الشيطان دائماً لإغواء الناس حيث يوسوس فى صدورهم فلا بدَّ من الالتجاء و الاستعاذة بربِّ الناس لأجل النجاة من شرِّه كما قال تعالى:(قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس) [۹۰] .ومن الواضح أنَّ الإنسان لا يمكنه أن يعرف ربَّه إلاّ أن يعرف نفسَه مُسبقاً وبمعرفة النفس يمكنه أن ينجو من شرّ وساوس الشيطان فتأمَّل تعرف. ومن هنا نعرف السرّ فى أهميَّة ذكر الله عندما يبتلى الإنسان بالشيطان لأنَّ الشيطان خنّاس فعند ذكر الله يفرّ وعند الغفلة يرجع ومن هنا سمِّىَ خنّاساً.(والمقصود الذى يخنس أى ينقبض إذا ذكر الله تعالى) وقوله تعالى:(فلا أقسم بالخنس)أى الكواكب التى تخنس بالنهار، والإنسان يمكنه أن يتخلص من الشيطان بمجرد أن يذكر الله:(إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) [۹۱] .فعلى الرغم من أنَّ الله سبحانه قد حذَّر آدم من التقرُّب إلى تلك الشجرة إلاّ أن الشيطان قد استغل أسلوبه الخطير الذى هو التسويل والتزيين(قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) [۹۲] .لأنَّ آدم عليه السلام كان يرغب فى الخلود و البقاء فى الجنَّة وشجرةُ الخلد تعنى أنَّه سوف يُرسِّخ من خلالها جذوره فى الجنَّة ومن ثمَّ سوف يصل إلى مُلكٍ لا يزول أصلاً.ولكن كان هدف الشيطان أن يُزيل آدم وزوجته من تلك الحالة النورانيَّة التّى شرحناها سابقاً حيث لم يكن يحتاج إلى اللباس ولم يكن يجوع حيث أنَّه لم يكن يطلق عليه الجسم بالمعنى الفعلى حتَّى يحتاج إلى الغذاء الجسمانى نعم كان يتنعَّم بالأغذية الروحانية والمعنوية كما ورد فى شأن رسول الله صلى الله عليه و آله وسلَّم:(إن الملائكة طعامهم التسبيح وشرابهم التقديس)ومن هنا نشاهد أنَّ

الوصـال فی الصوم کان مباحا للنبی صـلی الله علیه وآله وحرام علی أمته ومعناه أنه یطوی اللیل بلا أکل وشـرب مع صـیام النهار لا أن یکون صائما لأن الصوم فی اللیل لا ینعقـد بل إذا دخل اللیل صار الصائم مفطرا إجماعا فلما نهی النبی صـلی الله علیه وآله وسلَّم أمته عن الوصال قیل له انک تواصل فقال:(إنی لست کأحـدکم إنِّی أظل عنـد ربی یطعمنی و یسـقینی) [۹۳] (وقد قال صـلی الله علیه وآله أن عینی تنامـان ولاـ ینام قلبی) [۹۴] (العطـار عـن أبیه عن الاشـعری عن الجـامورانی عن منصـور بن العبـاس عن عمرو بن سـعید عن الحسن بن صدقه قال قال أبو الحسن الأول علیه السـلام قیلوا فان الله یُطعم الصائم و یسقیه فی منامه) [۹۵] .وإذا نجح فی هذه المرحلهٔ فسوف یمکنه أن یغویهما بسـهولهٔ فی المراحل الأخری:(فوسوس لهما الشیطان لیبدی لهما ما وُرِی عنهما من سوآتهما وقال ما نهاکما ربکما عن هذه الشجرهٔ إلا أن تکونا ملکین أو تکونا من الخالدین وقاسمهما إنی لکما لمن الناصحین فدلَّهما بغرور) [۹۶] .والظاهر أنَّ آدم کان معجباً بالملائکهٔ حیث استغلَّ الشیطان هذا الإعجاب فقال إلا أن تکونا ملکین ولو کان آدم عارفاً نفسَه حقَّ المعرفهٔ لکان من اللازم أن لا ینخـدع بمثل هـذا الکلام ومن المفروض أن یَردَّ علی الشیطان بأنَّه أفضل من الملک! ولکنَّه لم یکن یعرف السرّ الکامن فیه والهـدف الـذی خلق لأجله حقَّ المعرفـهٔ کما شـرحنا سابقاً ومن هنا نراه قـد اقتنع بکلام الشـیطان خصوصاً عنـدما اسـتعان بالقسـم الکاذب وأنَّه بالفعل من الناصـحین!فماذا حدث؟ یقول سبحانه:(فأکلا منها فبدَت لهما سوآتهما وطفقا یخصفان علیهما من ورقِ الجنهٔ وعصی آدم ربَّه فغوی). [۹۷] .

الهبوط

فماذا حصل بعد الأکل؟

الذی حصل لیس هو إلاّ الهبوط من الحالهٔ الروحانیَّهٔ النورانیَّهٔ إلی الحالهٔ الجسـمانیهٔ الظلمانیَّهٔ.وقد ذکر الله ذلک من خلال لازمه حیث قـال:(فبـدت لهمـا سوآتهمـا)وهـذا إن دلَّ علی شـیءٍ فإنَّمـا یـدلُّ علی تغییر حالتهمـا لیس إلاّـ والشاهـد علی ذلـک قوله تعالی(وطفقا یخصـفان علیهمـا من ورقِ الجنـهٔ)فلاـ یَزالاـ یعیشـان فی الجنَّهٔ وهما خارجان منها وذلک لأنَّهم کانا یحتاجان لستر عورتهما إلی ورقها وهـذا معنی الهبوط الـذی یلازمه الشـقاء والتعب وقـد شـرحناه سابقاً وسنُبیِّنه فی مطاو کلامنا والـدلیل علی ذلک قوله تعالی:(فأزلهما الشیطان عنها فأخرجهما مما کانا فیه و قلنا اهبطوا بعضـکم لبعض عدو و لکم فی الأرض مستقر و متاع إلی حین) [۹۸] .تأمَّل فی قوله تعالی:(فأخرجهُما ممّا کانا فیه)فکلمهٔ ما تُشیر إلی الحالهٔ التِّی کانا فیها وتبیِّن الصـفهٔ التِّی کانا مُتصـفین بها لأنَّ الضـمیر فی عنها یرجع إلی الجنَّهٔ فهما قد أُزِّلا عن الجنَّهٔ وجرّاء الإزلال و الانزلاق عن الجنَّهٔ حصـلت حالهٔ أخری وهی أنَّهما أخرجا ممّا کانا فیه أی من تلک النورانیـهٔ التی کانا فیها(هـذا ما یسـتفاد من الفاء فی قوله تعالی فأخرجهما).وقد ذکر القرآن الکریم هبوط آدم فی مواضع ثلاثهٔ:الأوَّل: بتثنیهٔ الفعل:(قال اهبطا منها جمیعا بعضـکم لبعض عدو فإما یأتینکم منی هدی فمن اتبع هدای فلا یضل ولا یشقی) [۹۹] .الثانی: بجمع الفعل:ألف:(فأزلهما الشـیطان عنها فأخرجهما مما کانا فیه وقلنا اهبطوا بعضـکم لبعض عـدو ولکم فی الأرض مسـتقر ومتاع إلی حین) [۱۰۰] .ب:(قلنـا اهبطوا منهـا جمیعـا فإمـا یـأتینکم منی هـدی فمن تبع هـدای فلا خوف علیهم ولاهم یحزنون) [۱۰۱] .ج:(قال اهبطوا بعضـکم لبعض عـدو ولکم فی الأرض مستقر ومتاع إلی حین) [۱۰۲] .ونفس الحالـهٔ ولکن بمسـتوی آخر قـد حـدثت فیما بعد لبنی إسـرائیل حیث لن یصبروا علی طعـام واحـد:(وإذ قلتم یا موسـی لن نصبر علی طعام واحـد)وکانوا یطلبون من موسـی أن یـدعوَ الله أن یُخرج لهم الأطعمـهٔ المتنوِّعـهٔ(فـادع لنـا ربـک یخرج لنـا ممـا تنبت الأرض من بقلهـا وقثائها وفومها وعدسـها وبصـلها)وهـذه الأطعمهٔ المسـتخرجهٔ من الأرض هی أطعمهٔ الدنیا ومن هذا المنطلق صارت هی الأدنی(قال أتسـتبدلون الذی هو أدنی بالذی هو خیر)ولابدَّ من الهبوط عن تلـک الحالـهٔ الخـاصَّهٔ المعنویَّهٔ لمثل هـذا الإنسان الحریص علی الـدنیا:(اهبطوا مصـرا فإن لکم ما سألتم)وبطبیعـهٔ الحال لم یکن موسـی علیه السلام یرغبُ لبنی إسرائیل هذا الهبوط الذی یؤدِّی إلی الذلهٔ:(وضربت علیهم الذلهٔ والمسکنهٔ وباءوا بغضب من الله)

[۱۰۳] .

نتیجهٔ الهبوط

التورُّط فی الـدنیا ومزاحماتها وکثراتها ومن ثمّ السعی لتصاحبها بنحو تامّ کلٌّ یریـده وهذا ما أوجد العداوهٔ والبغضاء بین الناس:(وقلنا اهبطوا بعضکم لبعض عدو)وأوَّل حادث حدث هو قتل قابیل هابیل حیث یقول تعالی:(فطوعت له نفسه قتل أخیه فقتله فأصبح من الخاسرین) [۱۰۴] .(من أجل ذلک کتبنا علی بنی إسرائیل أنه من قتل نفسا بغیر نفس أو فساد فی الأرض فکأنما قتل الناس جمیعا ومن أحیاها فکأنما أحی الناس جمیعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبینات ثم إن کثیرا منهم بعد ذلک فی الأرض لمسرفون) [۱۰۵] .ثمَّ إنَّ إرسال الرسل وإنزال الکتب لم یکن ضمن المُخطَّط الأوَّل، ولم یکن بنی آدم یفتقر إلی الهدایهٔ بهذه الصورهٔ لأنَّه کان یعیش عالم الأنوار ولکن حیث أنّ الإنسان قد وقع فی معرض الهلاک بسبب مکائد الشیطان وحِیَلِه کان من اللازم علیه سبحانه أن یُرسل الرسل ویُنزل معهم الکتب حیناً بعد حین لئلاّـ یکون للناس علی الله حجّهٔ.ومن الطبیعی أنّهما قد ارتکبا خلافاً لأوامر الله ولهذا یقول سبحانه(وناداهما ربُّهما ألم أنهَکُما عن تلکما الشجرهِ وأقل لکما إن الشیطانَ لکما عدوٌّ مبینٌ قالا رَبَّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنکوننَّ من الخاسرین) [۱۰۶] .

قبول توبهٔ آدم لا ینافی هبوطه

قال تعالی:(ثم اجتباه ربُّه فتاب علیه وهدی قال اهبطا منها جمیعاً بعضُکم لبعض عدوٌّ فإمّا یأتینکم منی هدیً فمن اتبع هدای فلا یضل ولا یشقی ومن أعرضَ عن ذِکری فإن له معیشهً ضنکا ونحشُره یوم القیامهٔ أعمی قال ربِّ لم حشرتنی أعمی وقد کنت بصیرا قال کذلک أتتک آیاتنا فنسِیتها وکذلک الیومَ تُنسی) [۱۰۷] .الآیات تدلُّ علی أنَّ الله سبحانه اجتبی آدم فتاب علیه وهذا لا ینافی بقائه خارج الجنَّهٔ لأنَّ قبول التوبهٔ شیء والرجوع إلی الجنَّهٔ شیء آخر ولتوضیح ذلک نذکر مثالاً فنقول:لو أنَّ رجلاً کان یسکن مع أبیه فی البیت من دون أن یدفع مبلغاً مقابل سکناه بل یتمتَّع بجمیع ما فی بیت أبیه من غیر مقابل ثمَّ إنَّه وبسوء تصرُّفه نازع أباه وتشاجر معه وجرّاء ذلک طرده أبوه من البیت وحرمه من جمیع تلک التسهیلات التی کان یتنعَّم بها فاضطرَّ إلی العیش فی مکان ضیِّق وذلک مقابل إیجار وتحمُّل المشاق والصعوبات فابتلی بمصیبتین:۱-الحرمان من أبیه کمصدر للعاطفهٔ والحنان(وهو أمرٌ معنوی بحت).۲-الخسارهٔ المالیهٔ التی یتحمَّلها اثر إخراجه من البیت(وهو أمر مادِّی).فلو فرض أنَّه اعتذر من أبیه، وطلب منه قبولَ عذره وأصرَّ علی ذلک وبالفعل اکتسب رضاه، فهذا لا یعنی أنَّه سوف یرجعه إلی البیت مرَّهً ثانیهً حیث لا تلازم بینهما بل الخیر والمصلحهٔ فی بقائه خارج البیت لعلَّه یَعتبر فیسعی لإرجاع نفسه إلی ما کان فیه مرَّهً أخری.فإذاً قبول عذره قد حلَّ مشکلهً واحدهً من مشاکله أعنی المشکلهٔ المعنویهٔ وهی الأهمّ ولکن تبقی المشکلهٔ الثانیهٔ ولکن المشکلهٔ الأولی باقیهٔ علی ما کانت، وحلُّها الحاسم یتطلَّب السعی والجدّ فی کسب الرضا القلبی للأب مضافاً إلی جبر ما حدث کی لا یبقی شیء من الخجل أصلاً.ولو فُرض أنَّ الأب أرجعه إلی بیته مباشرهً فلا جدوی فی ذلک حیث لا رغد فی هذا العیش بعد ما حدث من التقصیر.ومن هنا صار الأصلح(بعد الخروج) البقاء خارج البیت والسعی للوصول إلیه مرَّهً ثانیهً ولکن بالسعی المتواصل.وعلی ضوء المثال الذی بیّناه نقول:بعد أن أکل آدم من الشجرهٔ حدثت له مشکلتان:۱- ابتعد عن رحمهٔ ربِّه.۲- ابتلی بالهبوط وعاش فی عالم الدنیا الذی لیس هو إلاّ متاع.فبعد أن رجع إلی ربِّه وتاب وقبلت توبته اقترب إلی ربِّه مرَّهً ثانیهً وعاش فی ظل رحمته ولکن هذا لا یعنی أنَّه رجع إلی ما کان فیه بل لم یکن الرجوع حینئذٍ یُجدیه بعد اللتیا والتی حیث الخجل من ربِّه العطوف فی حقِّه فکان الحلُّ الوحید للرجوع إلی جنته هو أداء تکالیفه(والخیر فیما حدث) لا(الخیر فی حدوثه). فمادام حدث ما حدث فلا بدَّ من حلٍّ!! فیا تری ما هو الحل؟ هذا ما سنبیِّنه فیما بعد.ولأنَّ إبلیس نجح فی إغوائه لآدم علیه السلام واستطاع أن یخرجه من الجنَّهٔ ویورِّطه فی عالم الکثرهٔ والاختلاف صار الدنیا متاعاً للإنسان ووسیلهً لرُقیّه أو انحطاطه فهو:

متاع الغرور

القرآن الكريم عنـدما يريـد أن يميِّز بين الآخرة والـدنيا يُطلق كلمـة المتاع على الحياة الدنيوية:(زين للناس حبّ الشـهوات من النساء و البنين و القناطير المقنطرة من الـذهب و الفضـة و الخيل المسومـة و الأنعام و الحرث ذلک متاع الحياة الـدنيا و الله عنـده حسن المآب) [۱۰۸] .فتلـک الأـمور كلُّها هي متاع الحياة الـدنيا وقال تعالى:(وفرحوا بالحياة الـدنيا وما الحياة الـدنيا فى الآخرة إلا متاع) [۱۰۹] .ومن ناحيـة أخرى يوصف الـدنيا بأنَّها متاع الغرور:(وما الحياة الـدنيا إلا متاع الغرور) [۱۱۰] .قال صاحب المفردات الراغب الإصـفهانى فى معنى كلمـة الغرور:(غرر: يقال غررت فلانا أصـبت غرته ونلت منه ما أريـده والغرة غفلة فى اليقظة والغرار غفلة مع غفوة.. فالغرور كل ما يغر الإنسان من مال وجاه وشـهوة وشـيطان وقد فسـر بالشـيطان إذ هو أخبث الغارين وبالدنيا لما قيل الدنيا تغر وتضـر وتمر).وعندما يبيِّن القرآن الكريم كيفيَّة إغواء الشـيطان يقول:(واسـتفزز من استطعت منهم بصوتک و اجلب عليهم بخيلک و رجلک و شاركهم فى الأموال و الأولاد و عدهم و ما يعدهم الشيطان الا غرورا) [۱۱۱] .(يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) [۱۱۲] .وبالنسبة إلى إغوائه آدم وحواء قال:(فدلاهما بغرور) [۱۱۳] .ومن هنا نشاهد أنَّه تعالى يخاطب رسوله:(لا يغرنَّک تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) [۱۱۴] (قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صـراطک المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) [۱۱۵] (لعنه الله وقال لأتخذن من عبادک نصيبا مفروضا) [۱۱۶] .

النفس الأمارة

وليُعلم أن الشيطان وإن كان هو العدوُّ المبين ولكن النفس الأمارة هى أعدى عدوّ الإنسان كما ورد فى الرواية:(أعدى عدوک نفسک التى بين جنبيک) [۱۱۷] .وذلک لأنَّ وساوس الشـيطان لها حـدٌّ خاصٌ دون الأميال النفسانية فهى خطيرة جداً بل هى مُسـتمسک قویٌ للشـيطان بل الشـيطان هو الذى يُغوى النفس ومن خلالها يتسـلط على الإنسان.. فالشيطان إذاً لا يُجبِر الإنسان على الشرّ ولا يُحمِّل عليه ذلـک بـل يتصـرف فى عقـل الإنسـان بأساليب مختلفـة أهمُّها هـذه الأساليب الخمسـة:۱- لأغوينهم.۲- لأمنينهم.۳- لأـزينن لهـم فى الأرض.۴- لآمرنهم.۵- لأضلَّنهم.

متاع إلى حين

ثمَّ إنَّ القرآن الكريم حينمـا يتحـدَّث عن الهبوط يقول:(وقلنـا اهبطوا بعضـكم لبعض عـدو ولكم فى الأـرض مسـتقر ومتاع إلى حين) [۱۱۸] .فالاسـتقرار فى الأرض كمتاع ليس هو طوال الـدهر بل هو إلى حين منه والحين هو مقطع من الـدهر والدهر يتعلَّق بالعالم الذى قبل قيام القيامَّة الذى يشتمل على الزمان والمكان وكلُّ ذلک من عوارض الجسم فلولا الجسم وحدوده وأبعاده لما كان يتحقق مفهوم المكان ولولا المكان لما كان هناک زمانٌ فى البين ولهذا نشاهد أنَّ الله سبحانه وتعالى يقول:(هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شـيئا مـذكورا) [۱۱۹] .وقـد شـرحنا ذلـک بالتفصـيل فى تفسـيرنا لسورة الإنسـان فراجع وأيضـاً ينقـل سـبحانه عقيـدةَ الـدهريين بقولهم:(وقالوا ما هى إلا حياتنا الـدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الـدهر وما لهم بـذلک من علم إن هم إلا يظنون) [۱۲۰] .وإن كانت هذه العقيدة باطلة من بنيانها.ومن هنا نشاهد أنَّه تعالى عندما يتحدَّث عن الحاجات التِّى نفتقر إليها فى حياتنا الدنيويَّة يحدِّد صـلاحيتها إلى حين(وآيـة لهم أنـا حملنـا ذريتهم فى الفلـک المشـحون وخلقنـا لهم من مثله مـا يركبون وإن نشأ نغرقهم فلاـ صـريخ لهم ولاهم ينقـذون إلا رحمـة منا ومتاعا إلى حين) [۱۲۱] .(والله جعـل لكم من بيوتكم سـكنا وجعـل لكم من جلود الأنعام بيوتا تسـتخفونها يوم ظعنكم ويوم إقـامتكم ومن أصـوافهـا و أوبارهـا وأشـعارها أثاثا ومتاعا إلى حين) [۱۲۲] .وقد وضَّحنا السـر فى ذلک(عند شـرح معنى الهبوط) وسوف يتَّضـح لک فى ما بعـد إنشاء الله.فإذاً إلى حين لا يعنى إلى يوم القيامـة بل يعنى إلى يوم ما قبل القيامـة لأنَّه عنـد قيام

القیامهٔ کـلَّ شـیء یتغیَّر فالشـمس تکور والکواکب تنتثر والبحـار تتفجَّر.فهاهنا سؤال یطرح نفسَه وهو متی یتحقق ذلک الحین؟ وهل هنـاک سبیـل للوصول إلی ذلـک؟أقول: نعم هنـاک سبیـل واضـح للوصول إلی الجواب وهو الرجوع إلی أمر إبلیس بعـد إغوائه لآدم وزوجته وذلـک لأنَّ حقیقـهٔ الـدنیا متقوِّمـهٔ بإبلیس وجنوده فلولاه لما کانت هـذه البسیطهٔ التِّی نعیش علیها هی الـدنیا بل کانت الجنَّهٔ بعینها کما کانت قبل عصیان آدم علیه السلام وقد شرحنا هذا الأمر بالتفصیل سابقاً فراجع.وأمّا إبلیس فیطلب من الله أن یبقیه إلی یوم یوعـدون:(قال رب فأنظرنی إلی یوم یبعثون) [۱۲۳] (قال أ رأیتک هـذا الـذی کرمت علی لئن أخرتنی إلی یوم القیامهٔ لأحتنکن ذریته إلا قلیلا) [۱۲۴] .فکـان إبلیس علیه لعـائن الله یریـد البقـاء إلی یوم القیامهٔ وهل قبل الله هـذا الطلب؟ کلا!! حیث أنَّه تعالی أجابه:(قال فإنک من المنظرین)ولکن إلی متی؟؟(إلی یوم الوقت المعلوم)فهناک یومٌ موقوت محـدَّد لا یُنظر الشـیطان بعده ولـم تقم القیامهٔ حینئذٍ بعـدُ فمادام لم یتواجـد الشـیطان فلا إغواء یعتری الإنسان نعم هـذا لا یعنی سـلب الاختیار عن الإنسان تماماً بل هناک بعض من الناس الـذین لاـ یزالون یعیشون الکفر والعصـیان قطعاً ولکنَّهم غیر ممکَّنین فی الأرض،فهناک أرضٌ وسـماءٌ ولکنَّه لا یُطلَق علیها الـدنیا وهو ذلک الیوم الـذی وعـد الله آدم لیرجعه إلی جنَّته کما فی خطبـهٔ أمیر المؤمنین الآتیـهٔوفی هذا الیوم سوف ینتقم الله من جمیع الظالمین بالحجَّهٔ علیه السـلام وقد ورد فی تفسیر قوله تعالی:(أ فمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقیه کمن متعناه متاع الحیاهٔ الدنیا ثم هو یوم القیامهٔ من المحضرین) [۱۲۵] .وفی الحـدیث:(کنز العمّال روی الحسن بن أبی الحسن الـدیلمی بإسـناده إلی محمد بن علی عن أبی عبد الله علیه السـلام فی قوله عز و جل ا فمن وعدناه وعدا حسـنا فهو لاقیه قال الموعود علی بن أبی طالب وعده الله أن ینتقم له من أعدائه فی الـدنیا و وعـده الجنـهٔ له و لأولیائه فی الآخرهٔ) [۱۲۶] .فهنـاک وعـدٌ إلهی سوف یلاـقیه الإنسان المؤمن وهو لیس من الحیاهٔ الـدنیا ولا یتعلَّق بالقیامهٔ فمتی هو إذاً؟سوف یتضح لک ذلک الزمان الذی یُحقق الله فیه وعده فانتظر.

علل الأحکام والتکالیف الإلهیهٔ

اشاره

إنَّ بنی آدم وبعـد خروجهم من ذلک النعیم المعنوی افتقروا إلی تکالیف ذات أبعاد مختلفـهٔ وجوانب شتَّی لکی تعالـج جمیع الثغرات التی حصـلت لهم جراء تلک المشـکلهٔ أعنی الهبوط فالله سـبحانه بحکمته ولطفه لم یترک آدم وبنوه بحالهم بعـد الهبوط بل مادام قد تاب آدم ورجع فلا بد من التفضل علیه وعلی بنیه بالتکالیف المتنوعهٔ من الصلاهٔ والصوم والحج والجهاد ووو.. کی ینجوا أنفسهم من الهبوط فی دار الـدنیا ویرجعوا إلی دار کرامته، فـإذاً الحـل الوحیـد لمثـل هـذا الإنسـان الهابـط هو العمـل بالتکالیف الإلهیـهٔ وإن کان الإنسـان الهـادی لاـ یفتقر إلی التکـالیف للوصـول إلی جوار الرب حیث أنه یعیش الجنـهٔ ولکن حیث إن التکـالیف هی قوانین شـاملهٔ ومستوعبهٔ فلا یجوز فیها الاستثناء أصلا فلا بد للکل أن یعملوا بها الهابطون والهداهٔ من غیر فرق بینهم.والجدیر بالذکر إن هناک علاقهٔ بین الأکل من الشجرهٔ المنهیَّهٔ التی أدَّت إلی الهبوط وبین التکالیف الإلهیَّهٔ، وهذه العلاقهٔ قد وصلت إلی مستوی العلیَّهٔ والمعلولیَّهٔ، وفی علم المعقول هناک أصل ثابت یقول: أنَّ العلَّهٔ والمعلول بینهما سـنخیَّهٔ وانسـجام کامل بحیث أنَّ المعلول هو الـذی یعکس العلَّهٔ تماماً وهو الذی یُظهره عیناً ومن هنا یقال للمعلول المَظهر.

علل الشرائع و الأحکام

وعلی هـذا الأساس نتمکَّن من معرفـهٔ الفلسـفهٔ العملیـهٔ للأحکام والتکالیف المتنوِّعـهٔ فکُلُّ الأحکام والتکالیف ترجع إلی ما حدث فی تلـک الجنَّهٔ(أعنی جنَّهٔ آدم)، تلـک الحوادث التِّی أدَّت إلی خروج آدم منها ومن ثمَّ ابتلائه بعالم الکثرهٔ کما مرَّ، کما أنَّ العمل بتلک التکالیف هی التِّی تضـمن رجوع الإنسان إلی جوار ربِّه.وقـد اعتمـد الإمام قـدّس سرّه علی هذا الأمر اعتماداً أساسیاً وتحدَّث عنه فی

کتبه المختلفة قال إمامنا قدِّس سرُّه فی کتاب الآداب المعنویة للصلاة بعد أن نقل الحدیث التالی:(عن معاویة بن عمار عن الحسن بن عبد الله عن أبیه عن جده الحسن بن علی بن أبی طالب علیه السلام قال جاء نفر من الیهود إلی رسول الله صلی الله علیه وآله فقال یا محمد أنت الذی تزعم انک رسول الله وإنک الذی یوحی إلیک کما أوحی إلی موسی بن عمران فسکت النبی صلی الله علیه وآله وسلم ساعة ثم قال صدقت یا محمد فأخبرنی لأی شئ توضأ هذه الجوارح الأربع وهی أنظف المواضع فی الجسد قال النبی صلی الله علیه وآله وسلم لما أن وسوس الشیطان إلی آدم ودنا آدم من الشجرة ونظر إلیها ذهب ماء وجهه ثم قام وهو أول قدم مشت إلی الخطیئة ثم تناول بیده ثم مسها فأکل منها فطار الحلی والحلل عن جسده ثم وضع یده علی أم رأسه وبکی فلما تاب الله عز وجل علیه فرض الله عز وجل علیه وعلی ذریته الوضوء علی هذه الجوارح الأربع وأمره أن یغسل الوجه لما نظر إلی الشجرة وأمره بغسل الساعدین إلی المرفقین لما تناول منها وأمره بمسح الرأس لما وضع یده علی رأسه وأمره بمسح القدمین لما مشی إلی الخطیئة) [۱۲۷] .(عن معاویة بن عمار عن الحسن بن عبد الله عن آبائه عن جده الحسن بن علی بن أبی طالب علیه السلام قال جاء نفر من الیهود إلی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فسأله أعلمهم عن مسائل فکان فیما سأله أن قال لأی شئ فرض الله عز وجل الصوم علی أمتک بالنهار ثلاثین یوما وفرض علی الأمم السالفة اکثر من ذلک فقال النبی صلی الله علیه وآله أن آدم لما أکل من الشجرة بقی فی بطنه ثلاثین یوما ففرض الله علی ذریته ثلاثین یوما الجوع والعطش والذی یأکلونه تفضل من الله عز وجل علیهم.. قال الیهودی صدقت یا محمد) [۱۲۸] .قال الإمام قدس سرُّه:فمن هذه الأحادیث لأهل الإشارات و أصحاب القلوب استفادات منها إن خطیئة آدم علیه السلام مع أنها ما کانت من قبیل خطایا غیره بل لعلها کانت خطیئة طبیعیة أو أنها کانت خطیئة التوجه إلی الکثرة التی هی شجرة الطبیعة أو کانت خطیئة التوجه إلی الکثرة الأسمائیة، بعد جاذبة الفناء الذاتی ولکنها ما کانت متوقعة من مثل آدم علیه السلام الذی کان صفیّ الله والمخصوص بالقرب والفناء الذاتی ولهذا أعلن الذات المقدسة وأذاع بمقتضی الغیرة الحبِّیة عصیانَه وغوایته فی جمیع العوالم وعلی لسان الأنبیاء علیهم السلام، وقال تعالی: وعصی آدم ربه فغوی.ومع ذلک، لابد من التطهیر والتنبیه بهذه المثابة له ولذریته التی کانت مستکنة فی صلبه ومشترکة فی خطیئته بل اشترکوا فی الخطیئة بعد الخروج من صلبه أیضا فکما أن لخطیئة آدم وأبنائه مراتب ومظاهر فأول مرتبتها التوجه إلی الکثرات الاسمائیة و آخر مظهرها الأکل من الشجرة المنهیة التی صورتها الملکوتیة شجرة فیها أنواع الثمار والفواکه وصورتها الملکیة هی الطبیعة و شؤونها، و إن حب الدنیا و النفس اللذین هما موجودین باستمرار فی الذریة لمن شؤون هذا المیل إلی الشجرة والأکل منها کذلک لتطهیرهم وتنزیههم و طهارتهم و صلاتهم و صیامهم للخروج من خطیئة الأب الذی کان هو الأصل أیضا مراتب کثیرة مطابقة لمراتب الخطیئة. وقد علم من هذا البیان إن جمیع أنواع المعاصی القالبیة لابن آدم هی من شؤون أکل الشجرة، و تطهیرها علی نحو خاص: وإن جمیع أنواع المعاصی القلبیة لهم أیضا من شؤون تلک الشجرة و تطهیرها بطور آخر. [۱۲۹] .وفی موضعٍ آخر نقل الحدیث التالی:(قال الیهودی صدقت یا محمد فأخبرنی عن الخامسة لأی شئ أمر الله بالاغتسال من الجنابة و لم یأمر من البول و الغائط قال رسول الله صلی الله علیه وآله إن آدم لما أکل من الشجرة دب ذلک فی عروقه و شعره و بشره فإذا جامع الرجل أهله خرج الماء من کل عرق وشعره فأوجب الله علی ذریته الاغتسال من الجنابة إلی یوم القیامة)ثمّ قال:وظاهر هذه الأحادیث و إن کان عند أهل الظاهر هو أن النطفة لما کانت تخرج من جمیع البدن فوجب غسل جمیعه. و هذا مطابق لرأی جمع من الأطباء و الحکماء الطبیعیین ولکن تعلیله علیه السلام بأکل الشجرة کما فی الحدیث الأول ونسبة الجنابة إلی النفس کما فی الحدیث الثانی یفتح طریقا إلی المعارف لأهل المعرفة والإشارة لان قضیة الشجرة وأکل آدم منها من أسرار علوم القرآن وأهل بیت العصمة والطهارة علیهم السلام، وکثیر من المعارف مرموز فیها، ولذا جعلوا علیهم السلام فی الأحادیث الشریفة قضیة آدم، و الأکل من الشجرة علة لتشریع کثیر من العبادات ومن جملتها باب الوضوء والصلاة والغسل وصوم شهر رمضان وکونه ثلاثین یوما وکثیر من مناسک الحج، وفی نیتی منذ سنین أن أفرد رسالة فی هذا الباب ولکن الانشغالات الأخر منعتنی عن ذلک، وأسأل الله تعالی التوفیق والسعادة لذلک.أقول: إنَّ الشجرة هی الأساس فی التکالیف إلاّ أنَّ هناک کثیر منها یرتبط بما حدث بعد الأکل أو حین الأکل فهناک

أحاديث كثيرة تبيِّن أسرار العبادات تُربط هـذه العبادات بتلك الحوادث فقد وردت فى أسرار الحج أيضا أحاديث كثيرة تدلّ على ذلك نذكر واحدة منها:(عن عبد الله ابن سنان قال بينا نحن فى الطواف إذ مر رجل من آل عمر فأخذ بيده رجل فاستلم الحجر فانتهره واغلظ له وقال له بطل حجك إن الذى تستلمه حجر لا يضر ولا ينفع فقلت لأبى عبد الله عليه السلام جعلت فداك أما سمعت قول العمرى لهذا الذى استلم الحجر فأصابه ما أصابه فقال وما الذى قال قلت له قال يا عبد الله بطل حجك إنما هو حجر لا يضر ولا ينفع فقال أبو عبد الله عليه السلام كذب ثم كذب ثم كذب أن للحجر لسانا ذلقا يوم القيامة يشهد لمن وافاه بالموافاة ثم قال إن الله تبارك وتعالى لما خلق السماوات والأرض خلق بحرين بحرا عذبا وبحرا أجاجا فخلق تربه آدم من البحر العذب وشن عليها من البحر الأجاج ثم جبل آدم فعرك عرك الأديم فتركه ما شاء الله فلما أراد أن ينفخ فيه الروح أقامه شبحا فقبض قبضه من كتفه الأيمن فخرجوا كالذر فقال هؤلاء إلى الجنَّة وقبض قبضه من كتفه الأيسر وقال هؤلاء إلى النار فأنطق الله عز وجل أصحاب اليمين وأصحاب اليسار فقال أهل اليسار يا رب لما خلقت لنا النار ولم تبين لنا ولم تبعث إلينا رسولا فقال الله عز وجل لهم ذلك لعلمى بما أنتم صائرون إليه وإنى سأبتليكم فأمر الله عز وجل النار فأسعرت ثم قال لهم تقحموا جميعا فى النار فإنى اجعلها عليكم بردا وسلاما فقالوا يا رب إنما سألناك لأى شئ جعلتها لنا هربا منها ولو أمرت أصحاب اليمين ما دخلوا فأمر الله عز و جل النار فأسعرت ثم قال لأصحاب اليمين تقحموا جميعا فى النار فتقحموا جميعا فكانت عليهم بردا وسلاما فقال لهم ألست بربكم قال أصحاب اليمين بلى طوعاً وقال أصحاب الشمال بلى كرهاً فأخذ منهم جميعا ميثاقهم وأشهدهم على أنفسهم قال وكان الحجر فى الجنَّة فأخرجه الله عز وجل فالتقم الميثاق من الخلق كلهم فذلك قوله عز وجل وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه ترجعون فلما أسكن الله عز وجل آدم الجنَّة وعصى أهبط الله عز وجل الحجر وجعله فى ركن بيته وأهبط آدم عليه السلام على الصفا فمكث ما شاء الله ثم رآه فى البيت فعرفه وعرف ميثاقه وذكره فجاء إليه مسرعا فأكب عليه وبكى عليه أربعين صباحا تائبا من خطيئة ونادما على نقضه ميثاقه قال فمن أجل ذلك أمرتم أن تقولوا إذا استلمتم الحجر أمانتى أديتها وميثاقى تعاهدته لتشهد لى بالموافاة يوم القيامة..) (البحار ج۵ ص۲۴۵ رواية۳۵ باب۱۰)وقد ورد فى خصوص فلسفة الطواف حول البيت حديثٌ يُربط هذا التكليف بموضوع خلق آدم إليك نصُّه:(فى علل ابن سنان عن الرضا عليه السلام عله الطواف بالبيت أن الله تبارك وتعالى قال للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أ تجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فردوا على الله تبارك وتعالى هذا الجواب فعلموا أنهم أذنبوا فندموا فلاذوا بالعرش واستغفروا فأحب الله عز وجل أن يتعبد بمثل ذلك العباد فوضع فى السماء الرابعة بيتا بحذاء العرش فسمى الضراح ثم وضع فى السماء الدنيا بيتا يسمى المعمور بحذاء الضراح ثم وضع البيت بحذاء البيت المعمور ثم أمر آدم عليه السلام فطاف به فتاب الله عليه وجرى ذلك فى ولده إلى يوم القيامة) [۱۳۰] .واللطيف ما ورد فى سهم الميراث وأنَّ للذكر مثل حظ الأنثيين:(عن الرضا عن آبائه عن الحسين بن على عليه السلام...وسأله لم صار الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين فقال من قبل السنبلة كان عليها ثلاث حبات فبادرت إليها حواء فأكلت منها حبه و أطعمت آدم حبتين فمن اجل ذلك ورث الذكر مثل حظ الانثيين) [۱۳۱] .(على بن محمد عن صالح بن أبى حماد عن الحسين بن يزيد عن على بن أبى حمزه عن إبراهيم عن أبى عبد الله عليه السلام قال إن الله عز وجل لما أهبط آدم عليه السلام أمره بالحرث والزرع وطرح إليه غرسا من غروس الجنَّة فأعطاه النخل والعنب والزيتون والرمان فغرسها ليكون لعقبه وذريته فأكل هو من ثمارها فقال له إبليس لعنه الله يا آدم ما هذا الغرس الذى لم أكن أعرفه فى الأرض وقد كنت فيها قبلك ائذن لى آكل منها شيئا فأبى آدم عليه السلام أن يدعه فجاء إبليس عند آخر عمر آدم عليه السلام وقال لحواء انه قد أجهدنى الجوع والعطش فقالت له حواء فما الذى تريد قال أريد أن تذيقينى من هذه الثمار فقالت حواء إن آدم عليه السلام عهد إلى أن لا أطعمك شيئا من هذا الغرس لأنَّه من الجنَّة ولا ينبغى لك أن تأكل منه شيئا فقال لها فاعصرى فى كفى شيئا منه فأبت عليه فقال ذرينى أمصه ولا آكله فأخذت عنقودا من عنب فأعطته فمصه ولم يأكل منه لما كانت حواء قد أكدت عليه فلما ذهب يعض عليه جذبته حواء من فيه فأوحى الله تبارك وتعالى إلى آدم عليه السلام أن العنب قد مصه عدوى وعدوك إبليس وقد حرمت عليك من عصيره الخمر ما خالطه نفس إبليس فحرمت الخمر

لأن عدو الله إبليس مكر بحواء حتى مص العنب ولو أكلها لحرمت الكرمة من أولها إلى آخرها وجميع ثمرها وما يخرج منها ثم إنه قال لحواء فلو أمصصتنى شيئا من هذا التمر كما أمصصتنى من العنب فأعطته تمره فمصها وكانت العنب والتمرة أشد رائحة وأزكى من المسك الأذفر وأحلى من العسل فلما مصهما عدو الله إبليس لعنه الله ذهبت رائحتهما وانتقصت حلاوتهما قال أبو عبد الله عليه السلام ثم إن إبليس لعنه الله ذهب بعد وفاه آدم عليه السلام فبال فى أصل الكرمة والنخلة فجرى الماء على عروقهما من بول عدو الله فمن ثم يختمر العنب والتمر فحرم الله عز وجل على ذريه آدم عليه السلام كل مسكر لأن الماء جرى ببول عدو الله فى النخلة والعنب وصار كل مختمر خمرا لأن الماء اختمر فى النخلة والكرمة من رائحة بول عدو الله إبليس لعنه الله) (الكافى ج۶ ص۳۹۳ رواية۲).هذا:

فلسفة بعث الرسل

ولم يكتف سبحانه بالتكاليف بل أرسل الأنبياء وبعث الرسل بالهدى ودين الحق كى يرشدوا الناس إلى الله ويحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه، قال تعالى:(كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) [۱۳۲] .إلى أن انتهى أمر الرسالة إلى نبيّنا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلَم فرسول الله كان ذلك النور فى عالم الأنوار فمنَّ الله علينا به وجعله فى بيت النبوّة وذلك لأجل هداية البشريّة وإخراجهم من الظلمات إلى النور وإرجاعهم إلى الجنَّة التى اخرجوا منه وهو الرجوع إلى الله سبحانه المشار إليه فى قوله تعالى:(إنا لله وإنّا اليه راجعون) [۱۳۳] .

ما هى الغاية من الخلق؟

قد صرَّح القرآن الكريم فى موارد كثيرة أنَّ الموجودات الأخر من الجمادات والنباتات والحيوانات وحتَّى الملائكة لم تخلق إلاّ لأجل الإنسان، والقرآن مليء بالآيات الدالَّة على ذلك [۱۳۴] نكتفى هاهنا ببعض النماذج فقط:قال تعالى:(الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) [۱۳۵] (هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا..) [۱۳۶] (فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون) [۱۳۷] (وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) [۱۳۸] (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) [۱۳۹] (وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون) [۱۴۰] (الله الذى خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار) [۱۴۱] (وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حليه تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) [۱۴۲] .

خلق الإنسان

وأمّا بخصوص الإنسان هناك حديث بين المتكلمين:فقال المعتزلة أنَّ الغاية فى إيجاد العباد هو إيصال النفع إليهم وهذا باطلٌ لأنَّه يعنى أنَّ الله قد استفاد بفعله واستكمل وهو الكامل فتعالى عن ذلك.وأمّا الأشاعرة فقد أنكروا الغاية بالمرة وهذا يعنى أنَّ الله ليس بحكيم فى فعله كيف وكل فعل لا غاية له يكون ناقصا معطَّلا وعبثاً والله سبحانه أجلُّ من أن يصدر منه فعلٌ بلا حكمة.وأمّا الحكماء الإلهيين يقولون أنَّه لا بدّ من غاية فى صنعه تعالى ولكن لا غاية فى صنعه وفعله وراء ذاته وذلك لأنَّه هو أجمل من كلِّ جميل وأجل من كل جليل وكل جمال وجلال وكمال ليس هو إلاّ انعكاس من بهاء جماله وظلّ من شمس جلاله ورشحة من بحر كماله فمنظوره ومعشوقه لا يكون إلا ذاته تعالى ولذلك قالوا: العالى لا يلتفت إلى السافل بالذات إلا بالعرض.ونعم ما قال الشيخ الرئيس أبو على بن

سينا:(لو إن إنسانا عرف الكمال الذى هو واجب الوجود الذى هو فوق التمام ثم فرض أنه منظم العوالم على مثاله، كان غرضه الواجب الوجود فإذا كان الواجب هو الفاعل فهو الغرض لذاته فى فعله).شرحه:لو أنَّ الإنسان عرف الله سبحانه وتعالى بأنَّه هو الكمال المطلق الذى ليس فيه نقصٌ أصلًا والجمال الحقيقى الذى ليس فيه عيبٌ مطلقاً وكذا سائر الصفات فمن الطبيعى أنَّه لا يطلب غيرَه ولا يرغب إلاّـ إليه حيث أنَّ الإنسان يعشق الأكمل والأجمل.وهذا الكلام بعينه يجرى بالنسبة إلى الله تبارك وتعالى فهو الفاعل لجميع الأشياء فماذا ترى يكون الغرض من فعله؟ ليس هناك أى غرضٍ وغايةٍ وراء فعله إلاّـ ذاته المُقدَّسة فغايته نفسُه لا شىء خارج عن نفسه تأمَّل.أقول:من هذا المنطلق يمكننا أن نصل إلى فلسفة الخلق فلم يخلق الله الإنسان إلّا لنفسه لا لشىء آخر لأنَّه مهما تصورنا من غايات فهى ناقصة لا يمكن أن يتوجَّه إليها الله أصلًا فكيف تكون هى غاية لفعله يستكمل بها نفسه!!وهناك شواهدُ كثيرةٌ من القرآن الكريم كذلك الأحاديث الشريفة تدلُّ على ذلك نكتفى هاهنا على سورة الانشقاق الآيات ۶-۸ ومن ثمَّ نشير إلى بعض النماذج الأخر من الآيات والروايات لنعطى هذا البحث المهم حقَّه إنشاء الله تعالى:

الرجوع إلى الرب

القرآن الكريم فى هذه السورة يؤكِّد على أنَّ الإنسان سوف يرجع إلى الله قطعاً لأنَّه خلق للبقاء ورجوعه هذا يتحقق بسعى وسرعة فيقول:(يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا)وهذا الخطاب عام يستوعب كافَّة الناس على مختلف أديانهم ومذاهبهم حيث أنَّ الكدح إلى الربّ من مقتضيات إنسانية الإنسان لا غير فلم يقل يا أيُّها الذين آمنوا بل قال يا أيُّها الإنسان وهذا الكدح ينطلق من العشق إلى الكمال المطلق الكامن فى وجود أىّ إنسان كان، والكمال المطلق يعنى الله سبحانه كما أشرنا إليه وشرحناه فى مقالاتنا الأخرى.[۱۴۳] ومن ناحية أخرى الكلُّ بلا استثناء سوف يصل إلى الغاية والمقصد(فملاقيه) فالنتيجة والغاية واضحة وهى لقاء الرب.ومن هذا المنطلق نعرف السرّ فى خلق الإنسان حيث أنَّه خلق لأجل الوصول إلى أسمى مرتبة وأعلى مستوى وهو الوصول إلى الله والرجوع إليه، وأيَّةُ غاية أخرى غير الرجوع إلى الله مهما كانت فهى غير هادفة ويكون الخلق حينئذٍ عبثاً لا حكمة فيه يقول تعالى:(أفحسبتم أنمَّا خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون) [۱۴۴] .فعدم الرجوع إليه تعالى يعنى العبث وتعالى الله عن ذلك فهو المبدأ وهو المنتهى:(وهو الأول والآخر والظاهر والباطن) [۱۴۵] (..الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء أول كل شئ ومصيره ومبدأ كل شئ ومعيده..) [۱۴۶] .

ملاقاة الجمال و ملاقاة الجلال

ثمَّ إنَّ هناك تمايزا رئيسيا بين الملاقِين ربَّهم وذلك التمايز يرجَع إلى كيفيَّة اللقاء فالموحد المؤمن يلاقى ربَّه سبحانه بجماله ورحمته ورأفته وحنانه ولطفه وعفوه وصفحه كما قال تعالى:(فأما من أوتى كتابه بيمينه- فسوف يحاسب حسابا يسيرا- وينقلب إلى أهله مسرورا)فيصل فى البداية إلى الجنات التى تجرى من تحتها الأنهار ثمَّ يترقى إلى جنّات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم ورضوا عنه وبالأخير يصل إلى الجنَّة التى جاء ذكرها فى أواخر سورة الفجر قال سبحانه:(يا أيتها النفس المطمئنة- ارجعى إلى ربك راضية مرضية- فادخلى فى عبادى- وادخلى جنتى)وهذه الجنَّة التّى أضافها سبحانه وتعالى إلى نفسه هى جنّة لقاء الله على حدّ تعبير الإمام قدس سرُّه.وأمّا الكافر والمُلحد والمنافق فهو يلاقى ربَّه أيضاً ولكن بجلاله وعذابه وسخطه وغضبه وانتقامه لا بعفوه وصفحه كما قال سبحانه وتعالى:(وأما من أوتى كتابه وراء ظهره- فسوف يدعو ثبورا- ويصلى سعيراً)فهم يلاقون ربهم حيث يقرُّون بذلك كما قال تعالى:(ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون)فهم يرون جهنَّم ويرون النار الملتهبة وهم فى محضر جلال الله وغضبه وانتقامه كما قال:(ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون)فالنتيجة أنَّ الغاية ترجع إلى الربِّ لاـ غيره.(ألا إلى الله تصير الأمور) [۱۴۷] (إنا لله وإنّا اليه راجعون) [۱۴۸] (وإنَّ إلى ربك المنتهى) [۱۴۹] .ومن هنا نشاهد أنَّه تعالى يقول لموسى(واصطنعتك لنفسى) [۱۵۰] .ولو مررنا على

الأدعیـة المأثورة لأذعنّا بهـذه الحقیقـة فإلیک بعض النماذج المختصـرة التّی صـدرت عنهم علیهم السـلام:(لأنّک غایة أمنیتی ومنتهی بلوغ طلبتی فیـا فرحه لقلوب الواصـلین ویـا حیـاة لنفوس العـارفین ویـا نهایـة شوق المحبین أنت الـذی بفنائـک حطت الرحال وإلیک قصدت الآمال) [۱۵۱] (یا رباه یا سیداه یا غایة رغبتاه) [۱۵۲] (یا غایـة أمل الآملین) [۱۵۳] (یا غایة الطالبین) [۱۵۴] (یا غایة الراغبین ومنتهی أمل الراجین) [۱۵۵] .

خلقنا للبقاء

ولو تـدبّرنا النفس وحالاتها وتجرُّدها لعرفنا أنَّه تعالی لم یخلقها لأن تعیش سـنوات ثمَّ تهلک بالمرَّة لأنَّ ذلک خلاف الحکمـة الإلهیَّة وخلاف عـدالته ومن هنا نشاهـد الکثیر من الأحادیث تؤکِّد علی ذلک:(عن الحمیری عن هارون عن ابن زیاد قال قال رجل لجعفر بن محمد علیه السلام یا أبا عبد الله انا خلقنا للعجب قال: وما ذاک؟ اللّه أنت! قال:خلقنا للفناء. فقال: مَه یا بن أخ خلقنا للبقاء وکیف تفنی جنـةٌ لاـ تبیـد ونـار لاـ تخمـد ولکن قـل إنما نتحول من دار إلی دار) [۱۵۶] .أقـول: البـاقی لیس هو إلاّـ وجه الله سـبحانه لصـریح قوله تعـالی:(کـل من علیهـا فان ویبقی وجه ربک ذو الجلال والإکرام) [۱۵۷] .فکیف یمکن أن یبقی الإنسـان وتبقی الجنَّة والنـار؟ ولیس ذلـک إلّا لأنَّ الآخرة إنَّما هو وجه الربِّ سواء کان ذلک جلال الرب وغضـبه أو جماله ورحمته وإکرامه ومن هنا ذکرت الصـفتان(ذو الجلاـل والإکرام) فالنار والجنَّة منطلقهما هو الصـفتان أعنی الجلال والإکرام، فجلاله تعالی ظهر فی النار کما أنَّ إکرامه ظهر فی الجنَّة حیث أنَّهـا لیست هی إلاّـ دار کرامته تعـالی وجمیع نعمهـا أیضاً تنطلق من تلک الصـفة العظیمـة، لا کنعم الـدنیا فلیست النعم تلک إلاّ ظهوراً لرحمـانیته تعـالی ومن هنـا نلاحظ البونُ البعیـد بین فواکه الـدنیا وفواکه الآخرة حیث قال تعالی:(أولئک لهم رزق معلوم فواکه وهم مکرمون فی جنـات النعیم علی سـرر متقـابلین) [۱۵۸] .فـالرزق المعلوم المختصّ للمخلصـین من العبـاد لیس هو الفاکهـة بما هی فاکهـة حیث لا قیمة لها مادام قد سـخَّرها الله ومنحها للخلق أجمعین فی الدنیا الدنیَّة فتأکلها الحیوانات بل حتَّی الکفّار والمشـرکین،بل الأهـمیَّة لتلـک الصـفة الإلـهیَّة أعنی الإـکرام التّی صـبغت تلـک الفاکهـة صـبغةً روحـانیَّة فهی لیست متاع کما هو المشاهـد فی فواکه الدنیا.ثمَّ إنَّ الآیة التالیة أیضاً تدلُّ علی ما نحن بصدد إثباته(ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو کل شیء هالک إلّا وجهه له الحکم وإلیه ترجعون) [۱۵۹] .وهاهنـا یجب التـأمُّل فی قوله وإلیه تُرجعون لنعلم معنی بقـاء الإنسـان وعـدم فنـائه بالمرَّة لأنَّه سوف یرجع إلیه تعـالی:(إنَّ إلی ربک الرجعی) [۱۶۰] .ولو لم نقـل برجوع الإنسـان إلی ربِّه لمـا أمکننـا أن نتصوَّر بقـائه فی الجنَّة أو النـار خالـداً وقد شرحنـا هـذا الأمر فلا نکرر.ثمَّ إنَّه من المفروض أن یبقی الإنسان خالـداً فی جوار رحمـة الله لا غضـبه ولأجل ذلک خُلق الإنسان وقد صرَّحت الآیـة التالیـة بـذلک:(إلا من رحم ربک ولـذلک خلقهم وتمت کلمـة ربک لأملأن جهنم من الجنـة والناس أجمعین) [۱۶۱] .والرحمة لها مراتب عدیدة من أعلی مراتبها رضوان الله تعالی کما فی الحدیث التالی:(علل الشرایع الطالقانی عن عبد العزیز بن یحیی الجلودی عن محمـد بن زکریا الجوهری عن جعفر بن محمد بن عمارة عن أبیه قال سألت الصادق جعفر بن محمد علیه السـلام فقلت له لم خلق الله الخلق فقـال إن الله تبـارک وتعـالی لم یخلق خلقه عبثـا ولم یـترکهم سـدی بـل خلقهم لإظهـار قـدرته ولیکلفهم طـاعته فیسـتوجبوا بـذلک رضوانه وما خلقهم لیجلب منهم منفعـة ولا لیـدفع بهم مضـرة بل خلقهم لینفعهم ویوصـلهم إلی نعیم الأبـد) [۱۶۲] (یبشـرهم ربهم برحمـة منه ورضوان وجنات لهم فیها نعیم مقیم) [۱۶۳] (وعـد الله المؤمنین والمؤمنـات جنات تجری من تحتها الأنهار خالـدین فیهـا ومساکن طیبـة فی جنات عـدن ورضوان من الله أکبر ذلک هو الفوز العظیم) [۱۶۴] .فـالرضوان الإلهی أکبر بنحو مطلق ولیست هناک منزلة أعلی وأرقی منه وذلک هو الفوز العظیم.

الرؤیة الکونیة و رحمة الرب

ولاـ یخفی أنَّ رحمـة الله لا تختص بالآخرة بل هی فی الـدنیا أیضاً فالإنسان الـذی لا یعیش الاختلاف والنزاع ولا یعیش کثرات المادة

فهو بالفعل مشمول لرحمة الله تعالى لأنَّ حالته النورانيَّة والمعنوية التى اكتسبها تجعله يعيش الذكر الدائم والاطمئنان المستمر(ألا بذكر الله تطمئن القلوب)والسعادة الحقيقية، وذلك لأنه رغم تواجده فى الدنيا يعيش عالم والملكوت بل الجبروت وينزجر من عالم الملك كما قال أمير المؤمنين عليه السلام مخاطباً همّام:(لولا الأجل الذى كتب الله عليهم لم تستقر أرواحهم فى أجسادهم طرفه عين شوقا إلى الثواب و خوفا من العقاب عظما) [۱۶۵] .ومن هنا نراه يستغفر الله بمجرد توجهه إلى عالم الملك والمادة وإن كان هذا التوجه من غير قصدٍ أو أن التكليف فرض عليه ذلك، كما كان على عليه السلام حيث كان يحكم بين الناس وهو على كرسيِّ الخلافة والقضاء فالحكم بين الناس أمر لا ـ بد منه ولكن رغم ذلك كان يجعله يعيش فى عالم الملك ولو ساعات ومن أجل هذا الأمر كان فى قيام الليل وأوقات السحر يبكى حتى يغمى عليه ويتوب كما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:(ليران على قلبى وإنى لأستغفر الله فى كل يوم سبعين مرة)ثم إنه ليس هناك أى انفصال بين هذه الحالة النورانية ونورانية البرزخ والقيامة بل كلها أمر واحد حيث أن عالم التجرد لا تعتريه الكثرة والتفرق فلا زمان يحكمه ولا مكان يحدُّه فالجنة الحقيقية يعيشها المؤمن وهو على الأرض والنار يعيشها الكافر وهو على الأرض.

العبودية: الرجوع إلى الله: الرحمة الإلهية

ومن خلال ما ذكرنا اتَّضح لك أن العبودية المنصوصة فى قوله تعالى:(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)تعنى الرجوع إلى الله والعيش فى ظل كرامته المستفادة من قوله تعالى(أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون)وهى بنفسها الرحمة الإلهية المذكورة فى قوله تعالى:(ولا ـ يزالون مختلفين إلا ـ من رحم ربك ولذلك خلقهم)وقال إمامنا سيِّد الساجدين زين العابدين عليه السلام:(.. ولم تترك عبادك هملا ـ ولا سدى ولم تدعهم بغير بيان ولا هدى ولم تدعهم إلا إلى الطاعة ولم ترض منهم بالجهالة والإضاعة بل خلقتهم ليعبدوك..)

العبودية الاجتماعية

و ما ذكرناه إنما كان على صعيد الفرد لا المجتمع.(الكافى عدة من أصحابنا عن احمد بن محمد عن ابن أبى نصر عن حماد بن عثمان عن أبى عبيدة الحذاء قال سالت أبا جعفر عليه السلام عن الاستطاعة و قول الناس فقال و تلا هذه الآية و لا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك و لذلك خلقهم يا أبا عبيده الناس مختلفون فى أصابه القول و كلهم هالك قال قلت قوله إلا من رحم ربك قال هم شيعتنا و لرحمه خلقهم و هو قوله و لذلك خلقهم يقول لطاعة الإمام) [۱۶۶] .وسيتضح لك هذا إنشاء الله تعالى

كلام الامام حول الغاية من الخلق

وللإمام قدِّس سرُّه الشريف كلامٌ لطيف حول غاية أفعال الله تعالى نكتفى بخلاصة ما ذكره فى كتابه القيِّم الأربعون حديثاًقال الإمام رضوان الله تعالى عليه:(يقول المحققون من الفلاسفة أنَّه لا ـ توجد غاية لأفعال الله سوى ذاته وتجلِّياتها، ولا يمكن أن يكون لذاته المقدَّسة فى إيجاد الأشياء هدف آخر وراء ذاته وظهوره وتجليه المقدَّس،لأنَّ أىَّ فاعلٍ لو أوجد شيئاً بغايةٍ غير ذاته(ما وراء ذاته) مهما كانت تلك الغاية، وإن كانت إيصال الفائدة والمثوبة للغير، أو كانت الغاية العبادة والمعرفة أو الثناء والحمد، كان هذا الفاعل مستكملاً بهذه الغاية وكان وجودها بالنسبة إليه أولى من عدمها، وهذا يستلزم النقص والقصور والانتفاع، وهذا محال على الذات المقدس الكامل على الإطلاق، الغنى بالذات والواجب من جميع الجهات، فإذاً لا يُستفسَر عن أفعاله ولا يُوجَّه إليه لِمَ(لا يُسأل عمّا يفعل) وأمّا الموجودات الأخرى فإنَّ لها غايات ومقاصد أخرى غير ذاتها(وذلك لأنَّها ناقصة ذاتاً وفعلاً) (وهم يُسألون)) [۱۶۷] .

المطلوب من الانسان

وقـد حان طرح السؤال الرئيسـى الذى هو فى الواقع الحلقهٔ التّى تربط أبحاثنا السابقهٔ بما سـنتحدَّث عنه فيما بعدُ وهذا السؤال هو:ما هو المطلوب من الإنسان؟ قد ذكر سبحانه وتعالى بصـريح القول أنَّه:(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) [۱۶۸] .فالمطلوب منه إذاً هو العبادهٔ لا شـيٍ آخر والسؤال الـذى يطرح نفسه هو:ماذا تعنى العبادهٔ... هل هى الصـلاهٔ والصوم والزكاهٔ والحج وغيرها من الأفعال؟ أم هى شـئٌ آخر ما وراء هذه الأفعال والأقوال؟أقول:عندما نلاحظ كلّ هذه الأفعال نشاهد أنَّ هناك أمراً مُشترك يحكمها جميعاً وذلك الأـمر المشترك هو النيَّهٔ وينبغى أن تكون تقرُّبـاً إلى الله ولولاـ القربـهٔ لمـا أطلق على العمـل عبـادهٔ أصـلًا فـإذاً قوام العبـادهٔ بـالنيَّهٔ ومن الواضح أنَّ النيَّهٔ ليست من الأعمال الجوارحيَّهٔ بل هى حالهٌ قلبيَّهٔ كامنهٔ فى نفس الإنسان فإذاً أساس العبادهٔ أمرٌ نفسىٌّ باطنىّ.

ماذا تعنى قربهٔ إلى الله

ولا يخفى معنى هـذه الكلمـهٔ فهى تعنى الوصول إلى الله نفسِه والاسـتقرار فى جواره والابتهاج بلقائه، فهـذا الأمر ممكنٌ للإنسان ولولا إمكـانه لمـا طلب منه ذلـك ولمـا ذُمَّ تـاركه كمـا تـدلُّ على ذلك الآيات الكثيرهٔ والأحاديث المتواترهٔ ولأهميَّهٔ هـذا البحث نجعله فى عنوانٍ مستقل فنقول:

لقاء الله

بعد أن اتَّضح لنا بأنَّ النفس هى نفحهٔ من نفحات الرحمن ومظهر من مظاهره الذى قد تجلَّى فيه الجمال والجلال كما شرحنا سابقاً فى تفسير قوله تعالى:(ما منعك أن تسجد لما خلقت بيـدى)وبعد أن عرفنا حقيقهٔ خليفهَٔ الله، يمكننا أن نعرف المقصود من لقاء الله الذى يتحـدَّث عنه سـبحانه فى كتابه العزيز،وليس هو إلاّ معرفـهٔ الله سـبحانه بالقلب الذى يتبع معرفهٔ الإنسان لنفسه، ولا ينبغى لنا أن نَصـرف جميع هذه الآيات الصـريحهٔ عن ظاهرها اعتمادا على فهمنا القاصـر وأذهاننا المحدودهٔ المؤطَّرهٔ بأفكار ربَّما هى ليست إلاّ أوهام متلبِّسهٔ بلباس الحقائق تلك الأفكار التِّى جعلت الكثير يحرِّف الكلم عن مواضعه ويُفسِّر القرآن برأيه.

اللقاء فى القرآن والسنهٔ

ولا يمكننا الوصول إلى هذا المستوى إلاّ بعد أن عرفنا بأنَّه تعالى:(مع كلِّ شـيٍ لا بمقارنهٔ وغير كلّ شيٍ لا بمفارقهٔ)فحينئذٍ سوف نعلم أنَّه تعالى هو أوضح من كلِّ شىء حيث أنَّ قوام جميع الأشياء به لأنَّه هو الوجود المطلق الغنىّ بالذات وجميع الوجودات الأخرى فقيرهٌ بالـذات إليه(أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى) وبالأحرى ليس هناك إلاّ وجود واحد ظهر فى الأشـياء والكلُّ تجلِّياته تعالى ومظاهره، والعبـد بمقـدار معرفته نفسَه وإحساسه فقرَه ومسـكنته وأنَّه لا يملـك لنفسه نفعاً ولا ضـراً ولا موتاً ولا حيوهً ولا نشوراً، بنفس المسـتوى سوف يعرف ربَّه ويصـلُ إليه حيث يغفل حينئـذٍ عن مشـخصاته الفرديـهٔ وماهيته المحـدودهٔ ويعرف أنَّ تلك المشـخصات لم تكن إلاّ أوهام فليس وراء الوجود شىءٌ آخر فلا يعشق إلاّ الله ولا يعبد إلاّ الله ولا يريد إلاّ الله فحينئذٍ سوف لا يكون ممن قال تعالى عنهم(..ألا إنهم فى مريهٔ من لقاء ربهم ألا إنه بكل شـىء محيط) [۱۶۹] لأنَّه بالفعل قد عرف بأنَّ الله سـبحانه بكلِّ شـيٍ محيط فلا يكون فى مريهٍٔ من لقـاء ربِّه بـل يكون مصـداقاً لقوله تعـالى(الـذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون) [۱۷۰] وهذا سـيُّد الشهداء أبوعبدالله الحسين عليه السلام ينادى(تركت الخلق طرّاً فى هواكا وأيتمت العيال لكى أراكا)

لذهٔ الوصال و نار الفراق

إنَّ جميع اللذات الدنيوية إنَّما هى ترجع إلى نفس الإنسان فهى التِّى تلتذ وهى التى تبتهج ولكن حيث أنَّ النفس مسجونة فى الجسم نراها بواسطة الحواس الخمسة تتعامل مع الأشياء فتنظر إلى الوردة الجميلة فتلتذ من تلك الرؤية فهى فى الواقع لا تلتذ من الوردة ولا تريدها كوردة بل النفس تلتذ بالجمال وتحبُّ الجمال فلو فقدت الوردة جمالَها فلا تحبُّها أصلًا، وهكذا بالنسبة إلى كلِّ هالك وآفل،فالمطلوب إذاً هو الجمال والكمال غير المحدود وغير المؤطَّر، وهو الله سبحانه ومن هنا نشاهد النبى إبراهيم ينفى كلَّ آفل وبالأخير يصل إلى الربّ(وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكوننَّ من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إنى برىء مما تشركون إنى وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) [۱۷۱] .وللإمام فى كتابه القيِّم شرح دعاء السحر بيان حول الآية نحيل القرّاء الكرام إلى مراجعة الكتاب [۱۷۲] .فالله سبحانه هو الذى يكون مطلوباً للإنسان وهو الذى يأنس به العارف لا غيره(يا من اسمه دواء وذكره شفاء) [۱۷۳] .ولا ـ يمكن أن يسرَّ العارف إلاّ الله نفسه كما فى دعاء الجوشن الكبير:(يا سرور العارفين يا منى المحبين يا أنيس المريدين يا حبيب التوابين يا رازق المقلين يا رجاء المذنبين يا قره عين العابدين) [۱۷۴] (يا سرور الأرواح و يا منتهى غاية الأفراح) [۱۷۵] .وعلى ضوء ذلك يمكننا معرفة الأحاديث الكثيرة التِّى تؤكِّد على عبادة الأحرار التى تنبع عن الحبِّ والعشق بالله:(الطالقانى عن عمر بن يوسف بن سليمان عن القاسم بن إبراهيم الرقى عن محمد بن احمد بن مهدى الرقى عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بكى شعيب عليه السلام من حب الله عز و جل حتى عمى فرد الله عز و جل عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره فلما كانت الرابعة أوحى الله إليه يا شعيب إلى متى يكون هذا أبدا منك إن يكن هذا خوفا من النار فقد آجرتك و إن يكن شوقا إلى الجنَّة فقد أبحتك فقال إلهى وسيدى أنت تعلم إنى ما بكيت خوفا من نارك و لا شوقا إلى جنتك و لكن عقد حبك على قلبى فلست أصبر أو أراك فأوحى الله جل جلاله إليه أما إذا كان هذا هكذا فمن أجل هذا سأخدمك كليمى موسى بن عمران) (بحار الأنوار ج۱۲ ص۳۸۰ رواية۱ باب۱۱).(وقال أمير المؤمنين و سيد الموحدين صلوات الله عليه ما عبدتك خوفا من نارك و لا طمعا فى جنتك لكن وجدتك أهلا للعبادة فعبدتك) [۱۷۶] .وفى قبال لذَّة الوصال هناك نار الفراق الذى لا يمكن تصوُّر شدته ذكره أمير المؤمنين عليه السلام فى دعاء الكميل.قال الإمام قدِّس سرُّه(إنَّ دعاء الكميل دعاء عجيب للغاية، بعض فقراته لا يمكن أن تصدر من البشر العادى(إلهى وسيدى ومولاى وربى صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك) فمن يمكنه أن يقول هذا الكلام؟ من يمتلك هذا العشق للجمال الإلهى بحيث لا يخاف من النار، لكنَّه يخاف أنَّه إذا دخل النار ينزل من مقامه ويصل إلى مرتبة يُحرم من عشقه؟ إنَّه يصرخ من فراق ذلك العشق بالله المجمر فى قلبه الذى لا ـ يعمل عملاً ـ إلا ـ من منطلق ذلك العشق) [۱۷۷] .وقال فى كلمة أخرى:(إنَّ نار جهنَّم مضافاً إلى أنَّها تُحرق الجسم تُحرق القلب(القلب المعنوى)أيضاً فهى تدخل القلب، مع ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام(فهبنى صبرت على عذابك..)!) [۱۷۸] .

لقاء الله فى القصيدة العرفانية للإمام

ومن هنا يمكننا أن نصل إلى محتوى القصيدة العرفانية التِّى أنشدها الإمام قدّس سرُّه، تلك القصيدة التِّى أهداها إلى الأمَّة الإسلاميَّة نجله السيد أحمد رضوان الله تعالى عليه وذلك بعد وفات الإمام ونحن نحاول أن نشرح البيتَ الأوَّل والثانى منها فحسب قال إمامنا:(من بخال لبت أى دوست كرفتار شدم جشم بيمار تورا ديدم وبيمار شدم)يقول الإمام: أنا ابتليت بخال شفتك يا محبوب وقد شرحنا معنى الخال سابقاً فراجع. [۱۷۹] ونظرت إلى عينك الخمول والعين الخمولة هى التى نوصفها بالغض فهى لا تتصف بالغمض ولا بالفتح وهذه الحالة للعين تُبرِز جمال المحبوب وتضفى من جماله وإنَّما يقصد الإمام من ذلك الجذبات الإلهيَّة وأسرارها التِّى تصل إلى العاشق وتُفهِمُه أنَّ معشوقه ومحبوبه مع علمه الكامل بحاله ومعرفته بعبده، مع ذلك فهو يستر على ذنوبه ويتغاضى عن

زلّاته.(غافل از خود شدم وكوس أنا الحق بزدم همچو منصور خريدار سر دار شدم)ثمَّ يقول الإمام قدِّس سرُّه:إنِّى قد غفلت عن نفسى وهذه مرتبة راقية جدّاً لا يصل إليها إلاّ الأوحدى والمقصود من كلامه هو أنَّنى قد انفصلت عن كلِّ شئ يرجع إلى شخصيتى الموهومة وتباعدت عن كلِّ أمر يمسُّ أنا والأنانيَّة رأس كلِّ خطيئة حيث أنَّها تبعدُ الإنسان عن الله وتغمسُه فى متاهات الدنيا وآثارها الدنيَّة وزخرفها وزبرجها،فبمقدار إبتعاد الإنسان عن الجانب السفليِّ من نفسه سوف يتقرَّب إلى الجانب العلويِّ منه وهذا يعنى تقرُّبه إلى الحقّ المطلق وهو الله سبحانه وتعالى، فحينئذٍ يرى نفسَه مظهر تامّ من مظاهر الحق وآية من آياته جلَّ وعلا فينادى أنا الحق ولكن عندما يرجع إلى هويَّته يرى أنَّ هذا النداء والصراخ لم يكن فى محلِّه لأنَّه لا زال فقيراً ولا زال ناقصاً فماذا يطلب بعد ذلك؟يقول إمامنا قدِّس سرُّه:(همچو منصور خريدار سر دار شدم) فحينئذٍ تمنِّيت الموت كما تمنَّى ذلك منصور الحلاج وكنت من المشترين الطالبين للمشنقة لأنَّه رأيت مادام أنَّنى محبوس فى هذا البدن المادِّى فمن المستحيل أن أصل إلى اللقاء الإلهى وأستقرَّ تحت ولايته إلاّ أن أموت(قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) [۱۸۰] .ومن هنا نصل إلى أمر آخر وهو أنَّ العارف لا يمكنه أن يصل إلى لقاء الله الأتَّم إلّا بعد انفصاله عن الجسم المادِّى ورجوعه إليه تعالى إمّا بالقتل فى سبيل الله والوصول إلى الشهادة وإمّا بالموت المتداول حيث الانفصال من عالم الطبيعة(وفى الحديث القدسى من عشقته فقد قتلته ومن قتلته فعلى ديته ومن على ديته فأنا ديته) [۱۸۱] وعلى ضوء ذلك يمكننا أن نعرف معنى الآيتين(من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآتٍ وهو السميع العليم) [۱۸۲] (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربِّهم وأنَّهم إليه راجعون) [۱۸۳] .فتأمَّل فيهما وتدبَّر محتواهما لتعرف أنَّ كلام الإمام إنَّما هو نابع من القرآن الكريم. وفى قبال هؤلاء هناك من لا يرجو لقاء الله وذلك لانغماره فى الدنيا التى تُبعده عن تمنِّى الموت كما قال تعالى:(إن الذين لا يرجون لقاءنا و رضوا بالحياة الدنيا و اطمأنوا بها و الذين هم عن آياتنا غافلون) [۱۸۴] .والمهمُّ هو العمل طبقاً للشريعة المقدَّسة فهو الذى يجعل المؤمن بالفعل من مصاديق الراجين لقاء الله وقد بيَّن سبحانه ذلك فى قوله تعالى:(فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) [۱۸۵] .

الرجوع إلى الله

إنَّ المقامات التِّى يصل إليها الإنسان سواء فى عالم الملك والدنيا أو الملكوت والبرزخ أو الجبروت والآخرة ليس بينها أىّ اختلاف وتعدُّد بل هى حقيقة واحدة راجعة إلى النفس الإنسانيَّة، ولا يخفى أنَّ النفس لبساطتها وتجرُّدها هى التِّى تُدرك تلك المراتب فالدنيا ليست هى إلاّ إدراك النفس وموقفها بالنسبة إلى المادة كما أنَّ البرزخ ليس هو إلاّ وصول النفس إلى مستوى من الرُقىِّ أو النزول بحيث يمكنها أن تُدرك اللذات أو الآفات ونفس الكلام بالنسبة إلى الجنَّة فلولا النفس وحالاتها لما كانت الدنيا ولا البرزخ ولا الآخرة ولهذا نرى أنَّه تعالى يقول(هم درجات) فالدرجات ترجع إلى الإنسان نفسه وقد ثبت هذا الأمر فى محلِّه وليس هنا مجال لشرحه بالتفصيل.ثُمَّ:مستوى الفرد فأيضاً كان يعيش القرب الإلهى كما شرحنا فلا بدَّ له من الرجوعإنَّه كما أن الإنسان على مستوى الفرد كان يعيش القرب الإلهى ولا بدَّ له من الرجوع إلى الله فكذلك على مستوى المجتمع، فغاية المجتمع هى الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى، توضيحاً لهذا الأمر ينبغى أن نتحدَّث عن:

الغاية من التشريع

العلة الغائية

لا يحدث أىُّ شىء فى الكون ولا يتحقق أىُّ معلول إلاّ بعد تواجد علته التامَّة وهذا أصل ثابت عقلاً من أراد أن يتطلَّع عليه بالتفصيل فليراجع كتبَ الحكمة المتعالية.ثمَّ:إنَّه يستحيل تحقق أمرٍ ممكن إلاّ بتواجد علله الأربعة وهى:الفاعلية – المادِّيَّة – الصوريَّة –

والغائيَّة.ولا بأس بتوضيح ذلک من خلال ذکر مثال فنقول:لو أردنا صنع کرسيٍّ خشبی بمواصفات خاصَّة فلا يمکن أن يتحقق ذلک الکرسی بتلک المواصفات إلاّـ بتحقق تلک العلل الأربعة: فيلزم وجود نجّارٍ يمثِّل الفاعل لذلک الکرسی فلولا الفاعل لما حدث الفعل، والأخشاب التِّی تمثِّل مادته ولولا المادة لما تواجد الشیء، وصورة الکرسی أعنی شکله الخاص المتميِّز عن شکل السرير والباب وغيرهما من الأشياء المصنوعة من الخشب، والغاية من ذلک الکرسی التی هی الجلوس عليه وإلاّ لم يکن الکرسی کرسياً، و من المعلوم أنَّ العلة الغائية مقدمَّةٌ علماً مؤخرة عيناً کما قيل أوّل الفکر آخرُ العمل، فأوَّل ما يتصوَّره النجّار هو الغاية من الکرسی أعنی الجلوس کما أنَّ أوَّل ما يتحقق فی الخارج هو الجلوس، ولا يخفی دور العلَّة الغائية فی فعل الفاعل فالغاية هی التِّی تدعو الفاعل إلی الفعل ولولاها لم يفعل، ولذا قال الحکماء العلة الغائية علة فاعلية الفاعل.وأيضاً الغاية لها دور رئيسی فی کيفيَّة الفعل وکميَّة المادة وکيفيَّة الصورة المنتخبة فالعلَّة الغائية هی التِّی تُخيِّم علی سائر العلل وتوِّجهها توجيهاً ينسجم مع الغاية.

الغاية من الدين

الدين بما له من المعنی له علَّة فاعليَّة وهی مؤسِّسُه وشارعُه، وله علَّة ماديَّة وهی محتواه، وله علَّة صورية وهی ما تسمَّی بالشريعة التِّی تتمثَّل فی العبادات والنُسُک المختلفة، وهناک علَّة غائيَّة للدين وهو الغرض من الشريعة، فما هی تلک؟ وما هی علَّة بعث الرسل وإنزال الکتب؟من الطبيعی أنَّه للوصول إلی جواب صحيح ينبغی لنا مراجعة القرآن الکريم، يقول سبحانه:(هو الذی أرسل رسوله بالهدی ودين الحق ليظهره علی الدين کله ولو کره المشرکون) [۱۸۶] و فی آية أخری(هو الذی أرسل رسوله بالهدی ودين الحق ليظهره علی الدين کله وکفی بالله شهيداً) [۱۸۷] .فالغاية العمليَّة من بعث الرسول هی أن يظهر الله دينه علی الدين کلِّه، وهذا لا يمکن إلاّ مع تمکين الدين علی کلِّ البسيطة حتَّی لا تکون فتنة ويکون الدين کلُّه لله، وعلی ضوء هذه الغاية يمکننا فهم روح جميع العبادات فالعبادة التِّی لا تنطلق من هذه الغاية لا قيمة لها لأنَّها تکون حينئذٍ عشوائيَّة.ومن هنا نعرف السرّ فی ما سنتحدَّث عنه فی خاتمة الحديث بالتفصيل من أنَّ أفضل العبادة هو انتظار الفرج، وهذه الغاية هی الوعد الحسن الذی جاء فی قوله تعالی(أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه کمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين) [۱۸۸] والذی شرحناه سابقاً وأيضاً هی التی يذکرها الله فی قوله(وعد الله الذين آمنوا منکم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فی الأرض کما استخلف الذين من قبلهم وليمکنن لهم دينهم الذی ارتضی لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننی لا يشرکون بی شيئا ومن کفر بعد ذلک فأولئک هم الفاسقون) [۱۸۹] .فإذاً لا يمکننا تفسير الدين تفسيراً صحيحاً ومعرفته معرفةً مستوعبة شاملة إلاّ أن ننطلق من تلک الغاية.ثمَّ إنَّ هناک مسألة أخری ينبغی لنا التأمُّل فيها وبالأحری سؤال مهمٌّ يجب الإجابة عنه وهو:ماذا يعنی ظهور الدين؟ و ماذا سيکون بعد ذلک؟أقول:إنَّ ظهور الدين وتمکينه لا يعنی إلاّ حکومة الله علی الأرض والاستقرار فی جواره تعالی وزوال الشرک به من رأس، الجلی منه والخفیّ(يعبدوننی لا يشرکون بی شيئاً) [۱۹۰] وبعبارة أخری ظهور الدين يعنی:

الرجوع إلی الله سبحانه

فالهدف من التشريع إذاً هو رجوع المجتمع إلی الله کما أنَّ فلسفة العبادات هی رجوع الإنسان إلی الله والاستقرار فی جواره ولا يخفی أنّ کلمة الرجوع لا يمکن إطلاقها إلاّ فی موارد خاصَّة قال الإصفهانی فی مفرداته فی بيان کلمة رجع، الرجوع العود إلی ما کان منه البداء أو تقدير البدء مکاناً کان أو فعلا أو.. فمن الرجوع قوله تعالی:(لئن رجعنا إلی المدينة فلما رجعوا إلی أبيهم ولما رجع موسی إلی قومه وإن قيل لکم ارجعوا فأرجعوا).(إن إلی ربک الرجعی) وقوله تعالی:(ثم إليه مرجعکم) يصح أن يکون من الرجوع کقوله(ثم إليه ترجعون) ويصح أن يکون من الرجع کقوله(ثم إليه ترجعون)فلا رجوع من غير بداية وحيث أنّنا کنّا لله فلابد أن نرجع إليه وذلک علی الصعيدين الفردی والاجتماعی، فأساس الأمَّة کانت فی جوار الله حيث کان آدم وکانت حواء يعيشان فی الجنَّة التِّی شرحنا عنها

فلا بد من الرجوع إلی تلک الجنَّة مرَّةً ثانیة حیث یظهر الله الدین علی الدین کلِّه ولوکره المشرکون وهذه الجنَّة هی من جنات الأرض وهی دولة المهدی عجل الله تعالی فرجه الشریف کما ستعرف عند مقایسة تلک الدولة مع جنَّة آدم علیه السلام.

سبیل الوصول إلی تلک الدولة المبارکة

ثمَّ إنَّ ههنا سؤالاً ـ وهو:ما هی الوسیلة التی تجعل الإنسان یتصوَّر تلک الدولة النورانیة فیصدِّق بها فیرغب فیها وینتظرها ویحاول تحقیقها؟أقول: جواباً علی هذا السؤال سوف نتحدَّث عن مفردة من أهم المفردات فی الشریعة المقدَّسة ألا وهی:

الذکر

اشاره

فعند التأمُّل فی التکالیف جمیعها نری بأنَّ الجامع بینها هو أمرٌ واحد وهو الذکر فالذکر هو الغایة النظریة لجمیع العبادات وهو الحلُّ الوحید للإنسان الهابط ذلک الإنسان الذی افتقد حالةً معنویةً سامیةً، حیث کان یعیش فی جوار ربه عیشةً یأکل من جنته حیث شاء رغداً ویتنعم بنعیمه.فبعد هبوطه من ذلک المقام ینبغی له(علی أقلِّ التقدیر) أن لا ینسی ذلک فیکون دائما فی ذُکرٍ ممّا کان فیه ولا یغفل عن الله علی أیِّ حال ولا تشغله الأموال والأولاد وظواهر الدنیا عن الذکر(یا أیها الذین آمنوا لا تلهکم أموالکم و لا أولادکم عن ذکر الله و من یفعل ذلک فأولئک هم الخاسرون) [۱۹۱] .وهذا الذکر المستمر سوف یجعله دائماً یتوقع الوصول إلی ذلک المقام ویرغب فیه و ینتظره وتبعاً لذلک سوف یجعله یشمئز وینزجر من الدنیا وزخارفها ویفکِّر فی خلاص نفسه منها وهذان الجانبان هما اللذان یُشکِّلان روح جمیع المناسک والعبادات. ومن هذا المنطلق صار الذکر هو أفضل من جمیع العبادات حیث أنَّه هو روح العبادة!!ویکفی فی إثبات أفضلیَّته أنَّ الصلاة التی هی عمود الدین وأهم العبادات لم تشرَّع إلّا للذکر یقول سبحانه:(إننی أنا الله لا اله إلا أنا فاعبدنی و أقم الصلاة لذکری) [۱۹۲] .وقال تعالی(وأقم الصلاة إن الصلاة تنهی عن الفحشاء والمنکر ولذکر الله أکبر والله یعلم ما تصنعون) [۱۹۳] .فالنهی عن الفحشاء والمنکر لیس هو الغایة القصوی من الصلاة بل ذلک یرجع إلی ظاهر الصلاة وللصلاة روح وواقع وهو یتمثَّل فی الذِکر وهو أکبر من سائر الجوانب الإیجابیَّة فیها.والذکر لا بد وأن یصل إلی مستوی بحیث یتولَّی علی جمیع حرکات الإنسان وسکناته ویسیطر علی کافة تصرفاته لا فی حال أداء الصلاة فحسب بل فی جمیع الحالات قال تعالی:(فإذا قضیت الصلاة فانتشروا فی الأرض و ابتغوا من فضل الله و اذکروا الله کثیرا لعلکم تفلحون) [۱۹۴] وقال تعالی:(فإذا قضیتم الصلاة فاذکروا الله قیاما وقعودا وعلی جنوبهم فإذا اطمأننتم فأقیموا الصلاة إن الصلاة کانت علی المؤمنین کتابا موقوتا) [۱۹۵] .. وقال تعالی:(واذکر ربک فی نفسک تضرعاً وخیفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تکن من الغافلین) [۱۹۶] ولا یُجدی الذکر القلیل المتقطع بل لا بدَّ وأن یکون کثیراً دائماً(یا أیها الذین آمنوا اذکروا الله ذکرا کثیرا) [۱۹۷] .هذا و قد بلغت أهمیة الذکر عند هبوط بنی آدم إلی مستوی بحیث لا یمکن العیش فی الدنیا إلا به و مع الإعراض عنه سوف یبتلی الإنسان بضنک العیشِ وعمی البصیرة(ومن أعرض عن ذکری فإن له معیشة ضنکا ونحشره یوم القیامة أعمی) [۱۹۸] .والجدیر بالذکر أنَّ هذه الآیة وردت بعد آیات الهبوط و قد مرَّ الحدیث عنها فراجع، وفی قبال هذه المعیشة هی الحالة المعنویة التِّی یشیر إلیها سبحانه بقوله(الذین آمنوا وتطمئن قلوبهم بذکر الله ألا بذکر الله تطمئن القلوب) [۱۹۹] .

الذکر من أهم أدوار الأنبیاء؟

مادام قد أثبتنا أنَّ الشریعة لیس هی إلّا انعکاساً لِما حدث عند خلق آدم وحواء فعلی ضوء ذلک ینبغی لنا أن نفسِّرها فالأنبیاء لم یأتوا

بالشـریعهٔ من قِبَلِ الله سـبحانه إلاّـ للتـذکیر ولإرجاع الهابطین إلی تلک الجنَّهٔ التِّی کان یعیش فیها آدم علیه السـلام وهو فی جوار ربِّه فلیس للأنبیاء دورٌ رئیسیٌ غیر ذلک وهو نفس السرّ الذی من أجله خلق الإنسان وشرِّعت الشریعهٔ کما مرَّ ذلک.

ذکر أهل البیت هو ذکر الله

من هنـا نعرف أهمیـهٔ ذکر من هم وجه الله الـذین بهم یُعرف الله ویُعبـد، فمع ذکرهـم یتمکن الإنسـان أن یـذکر الله بل ذکرهم یساوی ذکر الله کیف وهم الـذین قـال الله فیهم(فی بیوت أذن الله أن ترفع و یـذکر فیها اسـمه یسـبح له فیها بالغـدو و الآصال رجال لا تلهیهم تجـاره و لا بیع عن ذکر الله) [۲۰۰] حیث أنَّهم علیهم السـلام هم أهل الذکر وقال تعالی:(وما أرسـلنا من قبلک إلا رجالا نوحی إلیهم فسئلوا أهل الذکر إن کنتم لا تعلمون) [۲۰۱] .(الکافی الحسین بن محمد عن المعلی عن الوشاء عن عبد الله بن عجلان عن أبی جعفر علیه السـلام فی قول الله عز و جـل فاسـألوا أهل الـذکر إن کنتم لا تعلمون قال رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلَّم الـذکر أنا والأئمهٔ علیهم السلام أهل الذکر) [۲۰۲] .وهم تلک النعمهٔ التی یشیر إلیها سبحانه فی قوله(واذکروا نعمهٔ الله علیکم ومیثاقه الذی واثقکم به إذ قلتم سـمعنا وأطعنـا واتقـوا الله إن الله علیم بـذات الصـدور) [۲۰۳] والظـاهر أنَّ المیثاق هو الأمانـهٔ المعروضـهٔ علی السـموات والأرض والجبـال تلک الأمانـهٔ التِّی حملها الإنسان وقـد مرَّ الحـدیث عنه فراجع.وعلی ضوئه کلُّ من یـذکر الله عزَّ وجلَّ فهو ذاکرٌ لهم لا محالهَ وإلا فهو لیس بذاکرٍ للّه، و قد ورد فی الزیارهٔ الجامعهٔ(ذکرکم فی الذاکرین) [۲۰۴] .فکل ذاکر لله یذکرهم لا محالهٔ حیث أنهم مظهر مشیئته تعالی. و قـد ورد فی الکافی(عن العـدهٔ عن البرقی عن أبیه عن فضالهٔ بن أیوب عن علی ابن أبی حمزهٔ قال سـمعت أبا عبد الله علیه السـلام یقول شـیعتنا الرحمـاء بینهم الـذین إذا خلوا ذکروا الله انـا إذا ذکرنا ذکر الله وإذا ذکر عـدونا ذکر الشـیطان) [۲۰۵] .وقال الفرزدق فی قصـیدته المیمیَّهٔ:(مقـدَّمٌ بعـد ذکر الله ذکرُهُم ...فی کلِّ فرض ومختوم به الکلم إن عـد أهل التقی کانوا أئمتهم ...أو قیل من خیر أهل الأرض قیل هم)

ذکرهم أجر الرسالهٔ

و لاـ یخفی أن أجر الرسالـهٔ ینحصـر فی المودهٔ فی القربی لقوله تعـالی(قـل لا أسألکم علیه أجراً إلاّ المودَّهٔ فی القربی) [۲۰۶] والمودَّهٔ هی السبیل إلی الربِّ(قل ما أسألکم علیه من أجر إلا من شاء أن یتخـذ إلی ربه سبیلا) [۲۰۷] ولیس هو إلاّ الذکر(أولئک الذین هدی الله فبهداهم اقتده قل لا أسألکم علیه أجرا إن هو إلا ذکری للعالمین) [۲۰۸] (وما تسألهم علیه من أجر إن هو إلا ذکر للعالمین) [۲۰۹]
.

اهمیهٔ إحیاء ذکرهم

ومن هنـا نصـل إلی سـر التأکیـد البـالغ علی ذکرهم علیهم السـلام و أن من ذکرهم أو ذکروا عنـده فخرج من عینه ماء و لو مثل جناح البعوضـهٔ بنی الله له بیتا فی الجنهٔ و قد ورد فی الحدیث(ما المفید عن ابن قولویهٔ عن القاسم بن محمد عن علی بن إبراهیم عن أبیه عن جده عن عبد الله بن حماد الأنصاری عن جمیل بن دراج عن معتب مولی أبی عبد الله علیه السـلام قال سـمعته یقول لداود بن سـرحان یا داود ابلغ موالی عنی السـلام و إنی أقول رحم الله عبـدا اجتمع مع آخر فتـذاکر امرنا فان ثالثهما ملک یسـتغفر لهما و ما اجتمع اثنان علی ذکرنـا إلا باهی الله تعالی بهما الملائکـهٔ فإذا اجتمعتم فاشـتغلوا بالـذکر فان فی اجتماعکم و مـذاکرتکم أحیاؤنا و خیر الناس من بعـدنا من ذاکر بأمرنـا و دعـا إلی ذکرنـا)وأنت تری بـأنَّ الإمام علیه السـلام یطلق الکلمـهٔ(الـذکر) من غیر تقییـد حیث یقول(فاشـتغلوا بالـذکر) ومع ذلـک یُطبِّقه علی ذکرهـم علیهم السـلام وهـذا دلیـل علی عـدم انفصال ذکرهم عن ذکر الله تعالی.ولا یخفی أنَّ ذکرهم علیهم السـلام لا یعنی الحدیث عن سـیرتهم من تاریخ ولادتهم وشهادتهم وبیان مناقبهم فحسب، بل الأحادیث تؤکِّد علی ذکر أمرهم

والأمر له الأهمیـة القصوی کما سنشـرح عنه فیما بعـد بالتفصـیل ومن هـذا المنطلق یطلق علیهم أولوا الأمر ویعبَّر عن بقیَّة الله الحجة بن الحسن علیه السلام ولی الأمر وإمام الأمر.فذکرُهم علیهم السلام یعنی ذکر ما سیتحقق من أمرهم ودولتهم تلک الدولة المرتقبة و هی دولة المهدی المنتظر عجل الله تعالی فرجه الشریف.وقد ورد فی تفسیر قوله تعالی وذکرهم بأیام الله(العطار عن سعد عن ابن یزید عن محمـد بن الحسن المیثمی عن مثنی الحنـاط قـال سـمعت أبـا جعفر علیه السـلام یقول أیام الله ثلاثـة یوم یقوم القائم ویوم الکره ویوم القیامـة) (بحـار الأنوار ج۵۱ ص۵۰ روایة۲۳ بـاب۵).وأیضـاً قـد ورد فی زیـارة الجامعـة الکـبیرة(ویردَّکـم فی أیّامه) وهی أیّام الله.والحاصل:أن فلسفة جمیع العبادات تکمن فی أمرٍ واحدٍ و هوا لذِکر البنَّاء الذی یجعل الإنسان منتظراً لأیّام الله و مشتاقاً إلیها ومتوقِّعاً حصولها والعیش فی ظلِّها ومن ثمَّ رفض کلِّ ما یُشـغله عن الـذکر، ولا یصـح إطلاق کلمة الذکر إلاّ مع فقد تلک الحالة المعنویة التِّی لاـ بـدَّ للإنسـان من إرجاعهـا فی ذاکرته إلی أن یـأتی ذلک الیوم الـذی یرجع الکل فیه إلی الله تعالی(إنّا لله وإنّا إلیه راجعون) وذلک حینما یعیش الإنسان مرَّةً أخری فی جنته التِّی أُخرج منها وقال علیٌّ علیه السلام بشأن تلک الجنّة(ثم اسکن سبحانه آدم داراً أرغد فیها عیشه وآمن فیها محلته وحـذَّره إبلیس وعـداوته، فاغتره عـدوُّه نفاسةً علیه بدار المُقام ومرافقةِ الأبرار فباع الیقین بشـکه والعزیمةَ بوهنه واسـتبدل بالجدل وجلاً وبالاغترار ندما ثم بسط الله سـبحانه له فی توبته ولقّاه کلمة رحمتِه ووعده المردَّ إلی جنتِه فأهبطه إلی دار البلیةِ وتناسل الذرِّیة). [۲۱۰] .

یوم الوقت المعلوم

فمتی هو ذلک الیوم؟

الأحادیث فی هـذا المجال کثیرة وکلُّها تؤکِّد الآیـة المبارکة علی أنَّ ذلک الیوم هو قبل یوم القیامة والیوم هو یوم قیام قائم آل محمَّد الحجَّة بن الحسن المهـدی عجّل الله تعالی فرجه الشـریف فهناک حـدیث صـریح فی ذلک نقلَّه المجلسـی وکثیر من العلماء(موسوعة المهدی)(روی السـید علی بن عبد الحمید فی کتاب الأنوار المضـیئة بإسـناده إلی احمد بن محمد الأیادی یرفعه إلی إسحاق بن عمار قـال سـألته عن إنظـار الله تعـالی إبلیس وقتا معلوما ذکره فی کتابه فقال فانک من المنظرین إلی یوم الوقت المعلوم قال الوقت المعلوم یوم قیـام القـائم فإذا بعثه الله کان فی مسـجد الکوفـة وجاء إبلیس حتی یجثو علی رکبتیه فیقول یا ویلاه من هـذا الیوم فیأخـذ بناصـیته فیضـرب عنقه فذلک یوم الوقت المعلوم منتهی اجله) (بحار الأنوار ج۵۲ ص۳۷۶ روایة۱۷۸ باب۲۷)ونفس الحدیث بتفصیل أوسع قد نقله وهب بن جمیع مولی إسـحاق:(ومنه عن وهب بن جمیع مولی إسـحاق بن عمار قال سالت أبا عبد الله علیه السلام عن قول إبلیس رب فـأنظرنی إلی یوم یبعثون قـال فإنـک من المنظرین إلی یوم الوقت المعلوم قـال له وهب جعلت فـداک أی یوم هو قـال یا وهب أ تحسب انه یوم یبعث الله فیه النـاس إن الله أنظره إلی یوم یبعث فیه قائمنا فإذا بعث الله قائمنا کان فی مسـجد الکوفـة وجاء إبلیس حتی یجثـو بین یـدیه علی رکبته فیقـول یـا ویله من هـذا الیوم فیأخـذ بناصـیة فیضـرب عنقه فـذلک یوم الوقت المعلوم) [۲۱۱] .نعم هناک أحـادیث أخری تتحـدَّث عـن خصـوص قاتـل إبلیس أنَّه رسـول الله صـلی الله علیـه وآلـه أو أمیر المـؤمنین علیه السـلام فراجع [۲۱۲] .والجدیر بالذکر ما نقله العلامَّة المجلسـی رحمه الله عن السیِّد بن طاووس رضوان الله تعالی علیه حول یوم الوقت المعلوم وهو حدیثٌ طویل نذکر قسـماً منه کشاهد لما نحن بصدد إثباته:(قال السـید بن طاووس فی سـعد السعود رأیت فی صحف إدریس علی نبینا وآله وعلیه السلام فی ذکر سؤال إبلیس وجواب الله له قال رب فانظری إلی یوم یبعثون قال لا ولکنک من المنظرین إلی یوم الوقت المعلوم فإنَّه یوم قضیت و حتمت أن اطهر الأرض ذلک الیوم من الکفر و الشرک و المعاصی و انتخب لذلک الوقت عباداً لی امتحنت قلوبَهم للإیمان وحشوتها بالورع والإخلاص والیقین والتقوی والخشوع والصـدق والحلم والصبر والوقار والزهـد فی الـدنیا والرغبة فیما عندی یـدینون بـالحق وبه یعـدلون أولئـک أولیـائی حقـاً اخترت لهم نبیا مصـطفی و أمیناً مرتضـی فجعلته لهم نبیا ورسولا وجعلتهم له أولیاء

وأنصارا تلک أمـة اخترتها للنبی المصـطفی وأمينی المرتضـی ذلک وقت حجبته فی علم غيبی ولا بـد انه واقع أبيدک يومئذ وخيلک ورجلـک وجنودک أجمعين فاذهب فإنک من المنظرين إلی يوم الوقت المعلوم..) [۲۱۳] .واللطيف أنَّه تعالی بعد أن ذکر قضيَّة خلق آدم وسـجود الملائکة له وإباء إبليس عن السجود ثمَّ طرده من رحمة الله قال:(قل ما أسألکم عليه من أجر وما أنا من المتکلفين إن هو إلا ذکر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين) [۲۱۴] .وفی تفسـير هذه الآية الکريمة ورد حديث فی الکافی إليک نصُّه:(عن أبی جعفر عليه السـلام فی قوله عز و جل قل ما أسألکم عليه من اجر و ما أنا من المتکلفين إن هو إلا ذکر للعالمين قال هو أمير المؤمنين عليه السـلام ولتعلمن نباه بعد حين قال عند خروج القائم عليه السلام) [۲۱۵] .

الاجل المسمی

قال تعالی:(وما کان الناس إلا أمـة واحدة فاختلفوا ولولا کلمة سـبقت من ربک لقضـی بينهم فيما فيه يختلفون ويقولون لولا أنزل عليه آيـة من ربه فقـل إنمـا الغيب لله فـانتظروا إنی معکم من المنتظرين) [۲۱۶] .وهـذه الآيـة تضاهی الآية ۲۱۳ من سورة البقرة حيث قـال تعـالی:(کـان النـاس أمـة واحـدة فبعث الله النبيين مبشـرين ومنـذرين وأنزل معهم الکتاب بالحق ليحکم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الـذين أوتوه من بعـد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهـدی الله الـذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهـدی من يشاء إلی صراط مستقيم) [۲۱۷] .فهناک نوعان من الاختلاف:۱- من حيث المعاش وهو الـذی يتعلق بعالم الدنيا وعالم الکثرة فالله قد رفع هذا الاختلاف من خلال الدين والشريعة.۲- الاختلاف فی نفس الدين وما تضمنه الکتاب الإلهی من المعارف الحقَّة.. هذا يرجع إلی البغی بين علماء الأديان و لا ينبغی أن يحدث مثل هذا الإختلاف.فبالنسبة إلی هذا النوع من الاختلاف يقول تعالی:(وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم و لولا کلمة سبقت من ربک إلی اجل مسمی لقضی بينهم..) [۲۱۸] .والمفروض أن يحکم الله بينهم بإظهـار الحق علی الباطل و هلاک المبطلين و إنجاء المحقين لکن الکلمـة الَّتی سـبقت منه تعالی هی الَّتی منعت من القضاء بينهم.فما هی تلک الکلمة؟والکلمة هی قوله تعالی:لما أهبط الإنسان إلی الدنيا(ولکم فی الأرض مسـتقر ومتاع إلی حين) (يحيی بن عبد الله بن الحسن عن الصادق عليه السلام فی قوله تعالی و لقد سبقت کلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون قال نحن هم). [۲۱۹] .

النتيجة- دولة الإمام المهدی هی جنة آدم

اشاره

من خلال ما بيَّنّا نسـتنتج الأمور التاليـة:۱-إن الله سـبحانه إنّمـا خلق آدم عليه السـلام و أمر الملائکـة جميعاً أن يسـجدوا له، فلأجل أن يخرجَ من صلبه نور محمَّدٍ وأهلِ بيته عليه وعليهم الصلاة السلام و لذلک ورد فی الحديث القدسی لولاک لما خلقت الأفلاک.۲-إنَّ الله أسـکن آدم و حواء جنته وهی فی الأرض حيث کانت تخيم عليها النورانيـة والمعنويـة، و أراد منهما أن يبقيا فيها فيأکلا منها حيث شاءا رغداً و لا يقربا الشجرة فيکونا من الظالمين.۳-إنَّ إبليس لأنَّه عصی أمر الله أطرده سبحانه من جوار رحمته فأخذ يوسوس فی آدم و زوجته و أراد منهما أن يقربا تلک الشجرة فقربا فبدأت لهما سوآتهما و زالت عنهما تلک النورانية التی کانا فيها و ابتلی آدم وذريته بالحيـاة الماديـة الخشـنة حيث هبط من الجنَّة، و هبوط الإنسان من الجنَّة لا يعنی إلاّ زوال تلک النورانيَّة التی کان يمتلکها عنـدما کان يعيش بجوار ربِّه.۴-مـن أجـل سـدِّ الثغـور الـتی حـدثت جرّاء خروج آدم مـن الجنَّة شـرع الله سـبحانه التکـاليف الکـثيرة و الأحکـام المتنوِّعة.۵-إنَّ الغايـة المنشودة من إرسـال الرسـل و إنزال الکتب هی رجوع بنی آدم مرَّةً أخری إلی جنَّته.۶-نجح موسی عليه السلام مرَّة أخری حيث أرجع بنی إسـرائيل إلی تلـک الجنَّة فکـانوا يتظللون بالغمـام و تنزل عليهم المن والسـلوی ولکنَّهم طمعوا فی البقـل و القثاء وغيرها من متاع الـدنيا فاهبطوا مصـراً و رجعوا فيما کانوا عليه من الظلمة.۷-اسـتمرَّ الهبوط إلی أن بعث الرسول الأکرم صلی الله

علیه و آله و سلّم فتمکّن صلوات الله علیه من إرجاع الناس إلی جنَّهٔ آدم إلاّ أنَّ السقیفهٔ أفشلت جمیع ذلک فاستمرَّت حالهٔ الهبوط إلی یومنا هذا.۸-إنَّ العیش فی الدنیا کمتاع لیس هو إلاّ إلی حین و الحین إنّما هو مقطعٌ من الدهر داخلٌ فیه لا خارج عنه.۹-الدهر یتعلَّق بعالم ما قبل قیام القیامَّهٔ ذلک العالم المشتمل علی الزمان والمکان الذین هما من عوارض الجسم و الجسمانی.۱۰-إنَّ صلاحیهٔ الحاجات الّتی نفتقر إلیها فی حیاتنا الدنیویَّهٔ إنَّما هی إلی ذلک الحین فقط.۱۱-أنَّ أکثر المعاصی ناشئهٔ من وساوس الشیطان فمع هلاکه لا یبتلی عامَّهٔ الناس بالمعصیهٔ.۱۲-قوام الدنیا بالدناءهٔ و الرذیلهٔ والمعصیهٔ فمع قمع جذورها فلا دنیا و إن کانت هناک أرضٌ وسماءٌ.۱۳-إنَّ تواجد الإنسان بعد ذلک علی الأرض واستقراره علیها لا یعنی أنَّه یعیش الحیاهٔ الدنیا.۱۴-الحلُّ الوحید للرجوع إلی الله و العیش فی جواره فی ظل رحمته الواسعهٔ هو ذکر الله و ذکر رحمته التی کان الإنسان یتنعَّم بها و الذکر هو الغایهٔ النظریهٔ لجمیع العبادات.۱۵-إنَّ الذکر هو العامل الرئیسی للرغبهٔ فی ما افتقده الإنسان من النورانیَّهٔ التی کان یعیشها فی الجنَّهٔ ۱۵-إنَّ الله وعد آدم أن یردَّه إلی جنته کما قال علی علیه السلام: (ثم بسط الله سبحانه له فی توبته و لقّاه کلمهٔ رحمته ووعده المرد إلی جنته) [۲۲۰] .۱۶-إنَّ إبلیس لا یبقی حیّاً إلاّ إلی یوم الوقت المعلوم وحینئذٍ سوف یقتل.۱۷-إنَّ یوم الوقت المعلوم هو یوم ظهور الحجَّهٔ علیه السلام.وخلاصهٔ القول أنَّ الله سوف لا بدَّ و أن یُحیی الأرض بعد موتها إحیاءً بالمعنی التام للکلمهٔ، وفی الحدیث(عن أبی جعفر علیه السلام فی قوله عز وجل اعلموا إنَّ الله یحیی الأرض بعد موتها یعننی بموتها کفرَ أهلِها و الکافرُ میِّتٌ فیُحییها الله بالقائم فیَعدلُ فیها فتحیی الأرض ویحیی أهلها بعد موتهم). [۲۲۱] .و قد وعد الله تعالی عباده بأنَّهم(لو استقاموا علی الطریقهٔ لأسقیناهم ماءً غدقاً) [۲۲۲] وأیضاً قال(ولو انهم أقاموا التوراهٔ والإنجیل وما انزل إلیهم من ربهم لأکلوا من فوقهم و من تحت أرجلهم منهم أمهٔ مقتصدهٔ و کثیر منهم ساء ما یعملون) [۲۲۳] .

بعض صفات دولهٔ المهدی

ومع التأمّل فی الأحادیث الّتی وردت فی توصیف دولهٔ الإمام المهدی علیه السلام نلاحظ أنَّ مواصفات تلک الدولهٔ المبارکهٔ لا تتلاءم مع الدنیا التی نعیش فیها بل تنسجم تماماً مع الجنَّهٔ الّتی کان یعیش فیها آدم علیه السلام، فنشیر إلی بعض تلک المواصفات:

وصول الانسان إلی کماله المعنوی

وفی هذا المجال قد وردت أحادیث کثیرهٔ نکتفی ببعضها ففی الکافی بإسناده عن(أبی جعفر الباقر علیه السلام قال إذا قام قائمُنا وضع یده علی رؤوس العباد فجمع بها عقولَهم و کمُلت بها أحلامُهم) [۲۲۴] .ولا یخفی أنَّ وضع الید علی رؤوس العباد کنایهٔ عن النظر إلیهم نظرهٔ رحیمهٔ بها تفیض النورانیَّهٔ والمعنویهٔ منه علیه السلام علیهم و ذلک بعد وصولهم إلی مستوی العبودیهٔ التی بها یتمکّنون من قبول تلک الفیوضات الإلهیَّهٔ، کما أنَّ اجتماع عقولهم یعنی وصولهم إلی مرتبهٔ رفیعهٔ من الحذاقهٔ و الحکمهٔ بحیث یمکنهم تحمُّل ذلک الأمر کما سیأتی فی بیان قولهم علیهم السلام أنَّ أمرنا صعب مستصعب لا یحتمله إلاّ مَلَکٌ مقرَّب أو نبیٌّ مُرسَلٌ أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإیمان وفی بعضها أو مدینه حصینهٔ وعندما یسأل الراوی عن المدینهٔ الحصینهٔ یجیبه الإمام الصادق علیه السلام بأنَّها القلب المجتمعوهذه الصفهٔ التی یتصف بها أصحاب الحجَّهٔ علیه السلام لیست من الصفات التی یتمکَّن الإنسان و هو فی عالم الطبیعهٔ و سجن الدنیا أن یکتسبها بل هی صفهٌ نورانیَّهٔ و حالهٌ معنویَّهٔ لا یصل إلیها إلاّ من هاجر عالم الطبیعهٔ و انتقل إلی عالم المعنی فرجع إلی الله تعالی، وهذا لا ینافی کونه علی وجه الأرض لأنَّ عالم المُلک لا یتحکَّم فی مثل هذا الإنسان کمّا مرَّ تفصیله.

مشاهدهٔ المؤمنین بعضهم بعضاً

وفی هذا المجال أیضاً وردت أحادیث کثیرهٔ منها ما ورد فی الکافی(عن أبی الربیع الشامی قال سمعت أبا عبد الله علیه السلام یقول

إنَّ قائمنا إذا قام مد الله عز وجل لشيعتنا فى أسماعهم و أبصارهم حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد يكلمهم فيسمعون وينظرون إليه وهو فى مكانه) [۲۲۵] .والمستفاد من هذا الحديث أنَّ القدرة التّى تُكتسب آن ذاك ليست هى قدرةٌ ماديَّة يصل إليها الإنسان من منطلق العلم والتكنولوجيا كما يتصوَّر من ليس له إلمام بواقع الشريعة المقدَّسة و يحاول أن يفسِّرَ كلَّ شئ من منظاره المادِّى الضيِّق فيفسِّر مثل هذه الأحاديث بانتشار أجهزة التلفزيون والإنترنت وما شابه ذلك!! بل الأمر فوق مستوى هذه التخيُّلات الباطلة الزائفة إنَّها قدرةٌ إلهيَّة وقوَّةٌ ربّانية تابعة من مبدأ الكون بنحو مباشر ذلك الذى إذا أراد شيئاً يقول له كنْ فيكون ولذلك نلاحظ اختصاصها بخصوص الشيعة كما ورد فى الحديث لشيعتنا فهم الذين يهمُّهم هذا الأمر فيتميَّزون بهذه الصفات حيث يسمعونه عليه السلام و ينظرون إليه و هو فى مكانه من غير بريدٍ ولا يفرق ذلك بين ما إذا كانوا يعيشون فى حياةً مدنيَّةً يمتلكون تلك الأجهزة أو كانوا من أهل القرى والبوادى لم يحضوا من الكهرباء فضلًا عن الأجهزة الكهربائيَّة، فالسبب لوصولهم إلى ذلك المستوى فى السمع والبصر ليس هو إلّا كونهم موالين لذلك الإمام روحى له الفداء والسائرين على نهجه القويم.وأمّا غير الشيعة فلا يصلوا إلى ذلك المقام مهما ارتفعت مستواهم المادى وكثرت إمكانيّاتهم الظاهريَّة، فإذاً هذه الحالة المميَّزة هى حالةٌ معنوية بحتة لا دخل للمادة وعوارضها فى ذلك أصلًا ولم يحدث هذا الأمر إلّا لأنَّ العالم الذى يعيشه المؤمن آن ذاك هو أعلى مستوى من عالم الدنيا الذى هبط فيه آدم وبنوه بل هو جنَّة آدم عليه السلام التى بعث جميع الأنبياء لأجل إرجاع الناس إليها.وفى حديث آخر عن ابن مسكان قال(سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول إنَّ المؤمن فى زمان القائم وهو بالمشرق ليرى أخاه الذى فى المغرب وكذا الذى فى المغرب يرى أخاه الذى فى المشرق) [۲۲۶] .و هذا الحديث أيضاً يؤكِّد أنَّ الذى سوف يكتسب تلك المواصفات إنّما هو المؤمن لا غيره من الناس و ذلك فى خصوص زمان القائم عليه السلام فهو يرى أخاه فهذه الرؤية إنّما هى رؤية معنوية نابعة من إيمانه من ناحية وبلوغه ذلك الزمان من ناحيةٍ أخرى.ثمَّ إنَّ الأخوَّة فى ذلك الزمان ليس هى الأخوَّة النسبيَّة الناشئة من الولادة بل هل نوع خاص من الأخوَّة أشار إليها الإمام الصادق عليه السلام فى قوله(إنَّ الله تبارك وتعالى آخى بين الأرواح فى الأظلَّة قبل أن يخلق الأجساد بألفى عام فلو قد قام قائمنا أهلِ البيت ورث الأخ الذى آخى بينهما فى الأظلة و لم يورث الأخ فى الولادة) (الفقيه ج۴ ص۳۵۲ رواية ۵۷۶۱ باب۲).أقول: إنَّ عالم الأظلة هو عالم ما قبل انتقال الروح إلى الجسد وهو ذلك الحين الذى كان الإنسان شيئاً غير مذكور وغير معروف وهو العالم الذى يطلق عليه العرفاء بعالم ألست إشارة إلى قوله تعالى(ألست بربكم قالوا بلى) [۲۲۷] تفصيل الحديث عن ذلك العالم يُطلب فى محلِّه.و فى حديث أبى بصير قد ذكر الإمام عليه السلام سرَّ ما قد مرَّ فقال أبو بصير(قال أبو عبد الله عليه انه إذا تناهت الأمور إلى صاحب هذا الأمر رفع الله تبارك وتعالى له كل منخفض من الأرض وخفض له كل مرتفع حتى تكون الدنيا عنده بمنزلة راحته فأيُّكم لو كانت فى راحته شعرةٌ لم يُبصرها) [۲۲۸] .فمع التأمُّل فى هذا الحديث نعرفُ نقاطاً كثيرة نشير إلى بعضها، فقوله إذا تناهت الأمور يدلُّ على أنَّ فى بداية ظهوره ليس الأمر كذلك وبذلك يمكن تفسير الأحاديث التى ربَّما يُستشمُّ منها خلاف ما نحن بصدد إثباته فهى إنَّما تشير إلى ما قبل أن تستقرَّ الأمور ويُظهر الله الدين على الدين كلِّه، وأمّا بعد ذلك فالحالة تنعكس تماماً فيرجع المجتمع الإيمانى بأكمله إلى الله سبحانه وتعالى.ثمَّ لا تخفى عليك لطافة المناسبة بين قوله عليه السلام إذا تناهت الأمور وبين قوله إلى صاحب هذا الأمر وأمّا قوله عليه السلام رفع الله يدلُّ على أنَّ ذلك أمرٌ إلهى لا تحكمه السنن الماديَّة مضافاً إلى كلمة له فى قوله عليه السلام رفع الله تبارك وتعالى له.. وأيضاً خفض له، فهى تشير إلى أنَّ ذلك يختص به عليه السلام فهو الذى يرى الأرض هكذا، وألطف من ذلك كلِّه قوله عليه السلام حتى تكون الدنيا عنده فالدنيا خاصَّة لا الأرض تكون عنده وقدَّ مرَّ تفصيل الفرق بين الدنيا والأرض، كما أنَّ الدنيا لا تكون عند غيره كذلك والحاصل أنَّ هذا الحديث أيضاً يؤكِّد على ما أثبتناه من أنَّ دولة المهدى و إن كانت فى الدنيا إلّا أنَّ الظواهر المُلكيَّة الدنيويَّة لا تأثير لها فى حكومته عليه السلام.

التوسعة الزمانية

ففی روایهٔ أبی بصیر عن أبی جعفر علیه السلام أنَّه(یمکث علی ذلک سبع سنین مقدار کل سنه عشر سنین من سنیکم هذه) [۲۲۹] وفی حدیث آخر عن الصادق علیه السلام(یکون سبعین سنهٔ من سنیکم هذه) [۲۳۰] .أقول: اختلاف السنهٔ عن سنین الدنیا یدلُّ أ نَّ دولته لیست دولهٔ دنیویهٔ و إن کانت هی علی الأرض بل المخیِّمُ علی تلک الدولهٔ هو نورٌ إلهیٌّ والمتسلِّطُ علی تلک الحکومهٔ معنویَّهٌ ربّانیَّهٌ خارجهٔ عن أطر الزمان والمکان، فمن الواضح حینئذٍ أن تکون سنتها عشر سنین أو سبعین سنهٔ.

ظهور الملائکهٔ والجن للناس

وفی الحدیث الطویل الذی ینقله المفضل بن عمر قال:(یا سیدی وتظهر الملائکهُ والجنُّ للناس؟ قال إی والله یا مفضَّل و یخاطبُونهم کما یکون الرجل مع حاشیته و أهله، قلت یا سیِّدی و یسیرون معه؟ قال إی والله یا مفضَّل) [۲۳۱] .و من المعلوم أنَّه لیس من شأن الملائکهٔ و الجن أن یظهروا للناس کافَّهٔ بما أنَّهم فی الدنیا یعیشون فی هذا العالم المادی لأنَّ الملائکهٔ خُلقوا من نور لا علاقهٔ لهم إلاّ مع من یمتلک النور المعنوی و أیضاً لیس من طبیعهٔ الجن الانسجام مع عامَّهٔ الناس کما هو ثابت فی محلِّه.فإذاً دولهٔ الإمام علیه السلام لیست ضمن الدنیا بل کما أثبتنا هی دولهٌ تحیطها حالهٌ خاصَّهٔ نورانیَّهٔ خارجهٔ عن إطار المادَّهٔ والمادیّات.

ذهاب العاههٔ و تقویهٔ القلوب

نقل الشیخ الصدوق فی کتابه الخصال:(عن ابن الولید عن الصفار عن الحسن بن علی بن عبد الله بن المغیرهٔ عن العباس بن عامر عن ربیع بن محمد عن الحسن بن ثویر بن أبی فاختهٔ عن أبیه عن علی بن الحسین علیه السلام قال إذا قام قائمنا أذهب الله عز و جل عن شیعتنا العاههٔ و جعل قلوبهم کزبُر الحدید و جعل قوه الرجل منهم قوهٔ أربعین رجلاـ و یکونون حکّام الأرض و سنامها) [۲۳۲] .و الملاحظ فی هذا الحدیث نفس ما کان فی الأحادیث السابقهٔ حیث نسب الإمام علیه السلام ذهاب العاههٔ إلی الله مباشرهً فقال أذهب الله عز و جل فهو أمرٌ إلهی غیر خاضع للقوانین الطبیعیَّهٔ ومن هنا اختصَّت بالشیعهٔ فحسب عن شیعتنا وأمّا کلمهٔ جَعَل الوارد فی الحدیث فالظاهر أنَّ المراد منه هو الجعل التکوینی لا الجعل التشریعی، وبما أنَّهم وصلوا إلی هذا المرتبهٔ السامیهٔ صاروا حکّاماً علی الأرض.و مثل هذا الحدیث هو ما ورد فی شأن لوط علیه السلام عن(ابن مسرور عن ابن عامر عن عمه عن ابن ابی عمیر عن علی بن أبی حمزهٔ عن أبی بصیر قال: قال أبو عبد الله علیه السلام ما کان یقول لوط علیه السلام(لو أنَّ لی بکم قوهٔ أو آوی إلی رکنٍ شدیدٍ) [۲۳۳] إلاّ تمنِّیاً لقوهٔ القائم علیه السلام و لا ذَکَر إلا شدهٔ أصحابه فإنَّ الرجل منهم یُعطی قوهٔ أربعین رجلًا و أنَّ قلبَه لأشدَّ من زبر الحدید و لو مروا بجبال الحدید لقطعوها لاـ یکفون سیوفهم حتی یرضی الله عز و جل) [۲۳۴] .و قد مرَّ أنَّ أهل البیت علیهم السلام بما فیهم المهدی من ولد فاطمهٔ علیهما السلام کانوا معروفین لدی کافهٔ الأنبیاء وکذلک دولته المبارکهٔ کانت معروفهٔ لدیهم. و أمّا الذی یعطیهم هذه القوَّهٔ فهو الله سبحانه بحیث لو مرُّوا بجبال الحدید لقطَّعوها ومن هنا نستنتج بأنَّ الأربعین المذکورهٔ فی الحدیث إنَّما هی إشارهٔ إلی القوَّهٔ الخارقهٔ للعادهٔ فحسب فهی خارجهٔ عن إطار الجسمانیّات بل هی قوَّهٔ روحانیَّهٔ ملکوتیَّهٔ و لیس الکلام فیه مبالغهٔ أصلًا.

نزول البرکات و التآلف بین الحیوانات

وفی هذا المجال وردت أحادیث کثیرهٔ نذکر ثلاثهً منها فقد ورد فی حدیث(تعطی السماء قطرها والشجر ثمرها والأرض نباتها وتتزین لأهلها وتأمن الوحوش حتی ترتعی فی طرق الأرض کأنعامهم) [۲۳۵] و فی حدیث آخر(عن زید بن وهب الجهنی عن حسن بن علی بن أبی طالب عن أبیه صلوات الله علیهما قال یبعث الله رجلا فی آخر الزمان..إلی أن قال.. تصطلح فی ملکه السباع و تخرج الأرض نبتها و تنزل السماء برکتها و تظهر له الکنوز یملک ما بین الخافقین أربعین عاماً فطوبی لمن أدرک أیامه و سمع کلامه) [۲۳۶] وقال أمیر المؤمنین علیٍّ علیه السلام(ولو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها ولأخرجت الأرض نباتها و لذهبت الشحناء من قلوب العباد

واصطلحت السباع و البهائم حتی تمشی المرأة بین العراق إلی الشام لا تضع قدمیها إلّا علی النبات و علی رأسها زبیلها لا یهیجها سبع و لاـ تخافه) [۲۳۷] .و أنت تلاحظ فی هذه الأحادیث خاصَّة الأخیر کیف یسود الأمن تلک الدولة المبارکة و أیضاً هناک ترابط وانسجام بین الجانب الروحی المعنوی فی أصحابه علیه السلام حیث تذهب الشحناء من قلوبهم وبین الجانب المادی من نزول البرکات و شمولیة الخیرات، فکلُّ المشاکل والآفات التّی نعیشها نحن منشأها ومنبتها هو الدنیا لا غیر قال علیٌّ علیه السلام فی خطبته المعروفة فی توصیف الدنیا(دار بالبلاء محفوفة وبالغدر معروفة لا تدوم أحوالها ولا یسلم نزالها أحوالٌ مختلفة وتاراتٌ متصرِّفة، العیشُ فیها مذمومٌ والأمان منها معدوم و إنّما أهلُها فیها أغراض مستهدفة ترمیهم بسهامها و تفنیهم بحمامها) [۲۳۸] فمع التخلُّص من الدنیا و الرجوع إلی الجنَّة فی الأرض نتخلَّص من جمیع ألوان العاهات والآفات والخوف والوحشة.

المعجزات و الکرامات

کلُّ ما ذکرنا من خصوصیّات حکومة الإمام المهدی روحی لتراب مقدمه الفداء یکمن فی أمرٍ واحد وهو أنَّه مؤیَّد من قبل الله بالمعجزات والکرامات فدولته دولة الباطن لا الظاهر ولهذا نشاهد أنَّ لحجر موسی علی نبیّنا وآله وعلیه السلام دورٌ مهمٌّ فی طعام وشراب أصحاب الإمام المهدی عجَّل الله تعالی فرجه الشریف ففی الحدیث المنقول من الخرائج(روی عن أبی سعید الخراسانی عن جعفر بن محمد عن أبیه علیهما السلام قال: إذا قام القائم بمکَّة و أراد أن یتوجه إلی الکوفة نادی منادیه ألا لا یحمل أحدٌ منکم طعاماً ولا شراباً ویحمل حجر موسی الذی انبجست منه اثنتی عشرة عینا فلا ینزل منزلا إلا نصبه فانبجست منه العیون فمن کان جائعا شبع ومن کان ظمآن روی فیکون زادهم حتی ینزلوا النجف من ظاهر الکوفة فإذا نزلوا ظاهرها انبعث منه الماء واللبن دائماً فمن کان جائعا شبعا ومن کان عطشانا روی) [۲۳۹] .نشاهد فی الحدیث نقاط عظیمة تجعلنا نتیقَّن بما تحدَّثنا عنه من أنَّ مواصفات دولة الإمام المهدی هی نفس جنَّة آدم علیه السلام ونفس الحالة التّی کان یعیشها بنو إسرائیل قبل هبوطهم مصراً وذلک:لأنَّهم لا یحملون معهم طعاماً ولاـ شراباً فماذا یأکلون إذاً؟ إنَّ الحجَّة علیه السلام یحمل حجر موسی ذلک الحجر الذی انبجست منه اثنتی عشرة عیناً کما صرَّح القرآن بذلک.جاء فی کلام الإمام علیه السلام فانبجست منه العیون فمن کان جائعا شبع ومن کان ظمآن روی فهل ذلک العین یروی الضمآن فکیف یُشبع الجائع؟! تأمّل فی هذا الحدیث ثمَّ قایس بینه وبین قوله تعالی:(إن لک ألّا تجوع فیها ولا تعری وأنک لا تظمأ فیها ولا تضحی) [۲۴۰] الوارد فی شأن جنَّة نبیّنا آدم علیه السلام وتأمَّل أیضاً فی قوله تعالی(وإذ استسقی موسی لقومه فقلنا اضرب بعصاک الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عینا قد علم کل أناس مشربهم کلوا واشربوا من رزق الله ولاـ تعثوا فی الأرض مفسدین) [۲۴۱] علماً بأنَّ هذه الآیة وقعت فی تلک الآیات التی تبیِّن حال بنی إسرائیل قبل الهبوط وبعد الهبوط.ثمَّ: إنَّه علیه السلام فی قوله فإذا نزلوا ظاهرها انبعث منه الماء و اللبن دائما فمن کان جائعا شبعا و من کان عطشانا روی قد بیَّن صفة الجنَّة حیث أنَّ انبعاث الماء واللبن بنحو دائم لیس أمراً دنیویاً خشناً بل هو أمر معنوی لطیف.والمستفاد من الحدیث أنَّ هذا حال الإمام علیه السلام و أصحابه وهو فی بدایة ثورته المبارکة و قد قام علیه السلام بمکَّة و أراد أن یتوجَّه إلی الکوفة فکیف بعد استقرار حکومته و تمکینه الکامل علی الأرض کلِّه!!ثم:إنَّ الحدیث التالی یبیِّن لنا السند الذی یتَّکأ علیه الإمام علیه السلام فی حکمه(علی بن إبراهیم و احمد بن مهران جمیعا عن محمد بن علی عن الحسن بن راشد عن یعقوب بن جعفر قال کنت عند أبی إبراهیم علیه السلام و أتاه رجل من أهل نجران الیمن من الرهبان و معه راهبة فاستاذن لهما الفضل بن سوار فقال له إذا کان غداً فات بهما عند بئر أم خیر.... إلی أن قال.. و سأل الراهب عن أشیاء لم یکن عند الراهب فیها شئ فاخبره بها ثم إنَّ الراهب قال أخبرنی عن ثمانیة أحرف نزلت فتبین فی الأرض منها أربعة وبقی فی الهواء منها أربعة علی من نزلت تلک الأربعة التی فی الهواء ومن یفسرها قال: ذاک قائمنا ینزله الله علیه فیفسره وینزل علیه ما لم ینزل علی الصدیقین والرسل والمهتدین..) (الکافی ج ۱ ص ۴۸۱ روایة۵).

الخاتمة– أفضل العبادة انتظار الفَرج

اشاره

من هنـا نعرف السرّ فی صـدور مئـات من الأحـادیث التّی تؤکّد علی أنَّ انتظـار الفَرَج هو أفضل العبادة و ذلک لأنَّ ذکر الله فی أعلی مستواه و أرفع درجـاته هو ذکر تلک الدولـة المبارکـة التّی تتصف بجمیع مواصـفات جنَّة آدم علیه السـلام، تلک الدولـة التّی سوف یعیش فیها الإنسان فی جوار ربِّه و تحت ظل بارئه و فی ساحتها تتحقق رحمة الربّ التی أشار إلیها سبحانه فی قوله(إلا من رحم ربک ولذلک خلقهم) [۲۴۲] .فهی إذاً الغایـة العملیَّة لأصل الخلق کما مرَّ و بدونها لا یتصف الخلق بالحمکة أصـلاً.ومن هنا صار من اللازم أن نتحـدَّث عن هـذه العبـادة أعنی الإنتظـار أکثر تفصـیلاً وذلـک لأهمیَّتهـا من بین سائر العبادات وسوف نبیِّنها ضـمن عناوین مختلفة فنقول:

معنی الانتظار فی اللغة و الاصطلاح

المعنی اللغوی: کلمـة الانتظار قـد أُشـتقت من(نظر) قال صاحب المفردات:(نظر: النظر تقلیب البصـر والبصـیرة لإدراک الشـیء ورؤیته وقـد یراد به التأمل والفحص وقد یراد به المعرفة الحاصـلة بعد الفحص.....والنظر الانتظار یقال نظرته وانتظرته وأنظرته)وهناک کلمتان فی اللغة معناهما متقاربان مع هذه الکلمة وقد اسـتعملتا فی القرآن الکریم أیضاً وهما:۱-رصد: الرصد الاستعداد للترقب یقال رصد له وترصـد وأرصدته له. قال عز وجل:(وإرصاداً لمن حاربَ اللّه ورسولَه مِن قَبلُ). [۲۴۳] .قال فی النهایـة: یقال رصدته إذا قعدت له علی طریقه تترقبه و ارصدت له العقوبة إذا أعددتها و حقیقته جعلتها علی طریقه کالمترقبة له. (نقلاً عن الأمالی بإسـناده.. قال أمیر المؤمنین علیه السلام لأصحابه یوما و هو یعظهم ترصَّدوا مواعید الآجال و باشروها بمحاسن الأعمال.) [۲۴۴] .و قال علیٌّ فی نهج البلاغة(اعلموا عباد الله إن علیکم رصَداً من أنفسکم و عیوناً من جوارحکم و حفاظ صدق یحفظون أعمالکم و عدد أنفاسکم لا تسترکم منهم ظلمه لیـل داج) [۲۴۵] .۲-رقب: قـال تعـالی والرقیب الحافـظ وذلـک إمـا لمراعاته رقبـة المحفوظ وإما لرفعه رقبته قال تعالی:(وارتقبوا إنی معکم رقیب) [۲۴۶] .وقد وردت أحادیث اسـتعملت فیها هذه الکلمة بمعنی الانتظار.منها: ما ورد فی نهج البلاغة عن علیٍّ علیه السلام قال:(و من ارتقب الموت سارع فی الخیرات) [۲۴۷] .منها: فی کتابه علیه السلام لمحمَّد بن أبی بکر(ارتقب وقت الصلاة فصلها لوقتها ولا تعجل بها قبله لفراغ ولا تؤخرها عنه لشغل...) [۲۴۸] .ثمَّ إنَّ الراغب الإصفهانی عند بیان مادة(صبر) قال: ویعبر عن الانتظار بالصبر لمـا کـان حق الانتظـار أن لاـ ینفـک عن الصـبر بـل هو نوع من الصبر قـال(فـاصبر لحکم ربـک) [۲۴۹] أی انتظر حکمـه لـک علی الکـافرین.أقول:إنَّ هـذا الإسـتعمال هو اسـتعمال مجـازی من بـاب إسـتعمال اللاـزم وإرادة الملزوم وهو شـائع فی کلام العرب.المعنی الإصـطلاحی للانتظـار: ویعنی به خصوص انتظـار فرج الله الـذی هو فرج حجـة الله الإمام الثانی عشـر المهـدی المنتظر عجل الله تعالی فرجه الشـریف الـذی به یکشف الله الغم، ومن هـذا المنطلق تُبِعت الکلمـة بکلمـة الفَرَج الـذی هو الانکشاف، وهذا المعنی للکلمة هو المقصود منه فی أحادیثنا الشریفة و تشیر إلیه بعض الآیات القرآنیة أیضاً علی ما سیأتی.

اهمیة انتظار الفرج

وعندما نبحث فی الأحادیث المختلفة الصادرة عن المعصومین علیهم السـلام نستنتج أنَّ الأعمال کلَّها مع فی فیها من الأهمیَّة والاعتبار فهی فی قبـال الانتظار قلیلـة المستوی حیث أنَّ الانتظار هو:(أفضل الأعمال) [۲۵۰] .بـل جمیع الأعمال العبادیـة مع ما لها من القدسـیَّة والروحـانیَّة فهی لیست راجحـة علی الإنتظـار حیث أنَّه(أفضـل عبـادة الأمَّة) [۲۵۱] والجـدیر بالـذکر أنَّ هـذه العبـادة أعنی الإنتظار قد دخلت فی ساحة أهمّ العبادات وهو الجهاد فی سبیل الله وصار(أفضل جهاد الأمة) کما فی الحدیث التالی الصادر عن رسول الله صـلی

الله علیه وآله وسلَّم حیث قال(افضل جهاد أمتی انتظار الفرج) [۲۵۲] .ومن زاویة عرفانیَّة فللانتظار أیضاً مستوی رفیع من العرفان والروحانیَّة حیث صار(أحبَ الأعمال إلی الله) حتَّی وصل المنتظر إلی مستوی الشهید فی سبیل الله.(.. قال أمیر المؤمنین علیه السلام انتظروا الفرج و لاـ تیأسوا من روح الله فان احب الأعمال إلی الله عز و جل انتظار الفرج.... و المنتظر لأمرنا کالمتشحط بدمه فی سبیل الله) [۲۵۳] .بل هناک أحادیث تؤکِّد علی أنَّ(انتظار الفرج من الفرج) بل(انتظار الفرج من أعظم الفرج).(...عن محمد بن الفضیل عن الرضا علیه السلام قال سألته عن شیئ من الفرج فقال ألیس انتظار الفرج من الفرج إن الله عز و جل یقول فانتظروا إنی معکم من المنتظرین) [۲۵۴] .وهذا المعنی من الانتظار أعنی انتظار الفرج قد أکتسب قسطاً من القدسیة والاعتبار بحیث صار من علائم الإخلاص الحقیقی والتشیُّع الصادق ومن ممیزات الدعاة إلی دین الله سراً وجهراً و قد ورد فی الحدیث(..أولئک المخلصون حقا وشیعتنا صدقا والدعاة إلی دین الله سرا وجهرا..) [۲۵۵] .

السر فی أهمیة الانتظار

لمعرفة السرّ فی ذلک ینبغی لنا أن نتحدَّث بالتفصیل حول واقع الانتظار بذکر مقدَّمة مختصرة فنقول:إن التقییم فی القاموس الإلهی یختلف تماماً عن التقییم فی القاموس المادِّی ومن الخطأ جداً محاولة تقییم القضایا المعنویة الراقیة والمفاهیم الروحانیة السامیة بالمعاییر المادیَّة حیث أن هناک بونٌ بعید بینهما بل هما فی طرفی النقیض وقد وصل التضادّ بینهما إلی مستوی بحیث لا یمکن أن ینقطع الإنسان إلی المعنویات إلاـ بالابتعاد الکامل عن المادِّیات و أعنی بالابتعاد عنها هو عدم التوجُّه إلیها وعدم انشغال الذهن بها.هذا: ومفهوم الانتظار أعنی انتظار فرجِ الله هو فی الواقع یندرج تحت اسم من أسماء الله تعالی أعنی الکاشف کما فی الدعاء:(یا صریخ المکروبین ویا مجیب المضطرین ویا کاشف الکرب العظیم) [۲۵۶] (یا کاشف الغم) [۲۵۷] (یا کاشف الکرب العظام) [۲۵۸] .وعلی ضوئه صار مفهوم الانتظار مفهوما معنویا إلهیاً حیثُ أنَّه لا یمکن لشیءٍ أن یکتسب جانباً معنویاً ویشتمل علی بعدٍ مُقدَّس إلاّ بارتباطه بالله سبحانه وبمقدار ظهور اسم الله فیه، فلنترک إذاً الساحةَ المادیة ولنبحث عن الأفضلیة فی الساحة الإلهیة المعنویة.فنقول:

القرب إلی الله میزان الأفضلیة

ثم لا یخفی علی کلِّ من آمن بالله سبحانه أنه لیس فی القاموس الإلهی إلاّ میزان واحد، یقاس به الأفضلیة وهو المیزان الحقیقی(وهو الحق) وغیره لیست بموازین بل یُترائی أنها موازین فلاـ حقیقة لها ولاـ ثِقل فیها قال تعالی:(والوزنُ یومئذ الحق فمن ثقلت موازینه فأولئک هم المفلحون) [۲۵۹] (ومن خفت موازینه فأولئک الذین خسروا أنفسهم بما کانوا بآیاتنا یظلمون) [۲۶۰] (فذلکم الله ربکم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنی تصرفون) [۲۶۱] .وهذا المیزان هو: التقرب إلی الله سبحانه وتعالی فیجب أن نبحثَ عن مستوی التقرُّب إلیه تعالی فی الانتظار وعلی ضوءه نقیّم مستوی قدسیِّة الانتظار، حتَّی نعرف السرَّ فی أفضلیَّته علی سائر الأعمال بل حتَّی العبادات بحیث صار المنتظر کالمتشحِّط بدمه فی سبیل الله.

الرجاء بالله

إنَّ من أهم نتائج انتظار الفرج تنمیةَ روحیةِ الرجاء بالله فی الإنسان المؤمن حیث یُشاهد أمامَه مجالاً وسیعاً من الفضل والکرم والخیر الإلهی الذی سوف تظهر مصداقیَّتُها فی تلک الدولة العظیمة المبارکة وهی دولة المهدی المنتظر صلوات الله وسلامه علیه، تلک الدولة الکریمة التّی یعزُّ الله بها الإسلام وأهلَه ویذلُّ بها النفاق وأهلَه، ومن الطبیعی لمن یمتلک هذه الرؤیة أن یحتقر العالم الذی یعیشه بما فیه من المُغریات الخلاّبة الدنیویة والتسویلات الشیطانیة، وهذا الأمر(أعنی تحقیر المظاهر الدنیویَّة) هو أوَّل خطوة یخطوها السالک إلی الله وهی(التخلیة) التّی تستتبعها(التحلیة) ومثل هذا الإنسان المؤمن قد وصل بالفعل إلی مُستوی من العرفان والعبودیة

بحيث يكون لسان مقالِه حالِه وعملِه هو(صلِّ على محمدٍ و آل محمد وأثبتْ رجائك فى قلبى و اقطعْ رجائى عمَّن سواك حتى لا أرجو إلا إيّاك..) [۲۶۲] .ثمَّ يترقَّى فى العبوديَّة فيقول:(بسم الله الذى لا أرجو إلاّ فَضله) [۲۶۳] (يا من أرجوه لكل خير) [۲۶۴] .هذه الروحية إن تركَّزت فى الإنسان المؤمن فسوف تُعمِّق جذورَها فتقمع جميعَ الأشواك والموانع الصادَّة،لتنشرَ فروعَها الطيِّبة وثمارَها الجنيَّة فى السماء حتَّى تؤتى أكلَها كلَّ حينٍ بإذنِ ربِّها. فكيف لا يكون الانتظار أفضلَ الأعمال بل أفضل العبادات؟! وهو الذى يُخيِّم على جميع الأعمال ويُلقى الضوء عليها.

افضل الجهاد

ما هو الأمر المتوقع من المجاهد فى سبيل الله حين الجهاد؟ وما قيمة المجاهد لولا النيّةُ الصادقة التى تنصبُّ فى سبيل الله؟هذا الأمر بنفسه بل أعلى مستوى منه متوفِّر فى المنتظر الحقيقى الذى يتمنَّى فى كلِّ صباحٍ ومساءٍ أن يعيش فى ظلِّ ذلك المعشوق روحى لتراب مقدمه الفداء ولسان حاله(..فأخرجنى من قبرى مؤتزراً كفنى شاهراً سيفى مجرداً قناتى ملبياً دعوةَ الداعى فى الحاضرِ و البادى..) [۲۶۵] وهو بقربه إلى الله وشهوده مقام ربِّه صار كالمتشحِّط بدمه فى سبيل الله شهيداً فى سبيل الله،وليس للشهيد خصوصيةٌ كمصداق بل الخصوصية والقيمة لمفهوم الشهادة التى تعنى الوصول إلى الله و شهود وجه المحبوب، والمنتظِر يؤدِّى نفس الدور حيث يشاهد وجهَ ربه و هو فى نفس الوقت يعايش الناس،وهذه الحالة هى التى تحقَّق فيه الصفاتِ الحسنة التى ذكرت فى الأحاديث الشريفة على ما سيأتى عند بيان أخلاق المُنتظِر.والحديث التالى قد بيَّن السر الذى رفع مستوى الانتظار إلى هذه الدرجة:(عن أبى حمزة الثمالى عن أبى خالد الكابلى عن على بن الحسين عليه السلام قال تمتد الغيبة بولى الله الثانى عشر من أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم و الأئمة بعده يا أبا خالد إنَّ أهل زمان غيبته القائلون بإمامته المنتظرون لظهوره افضل أهل كل زمان لان الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول و الإفهام و المعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزله المشاهدة وجعلهم فى ذلك الزمان بمنزله المجاهدين بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله و سلَّم بالسيف أولئك المخلصون حقا و شيعتنا صدقا و الدعاة إلى دين الله سرا و جهرا و قال: انتظار الفرج من اعظم الفرج) [۲۶۶] .وماذا بعد الفرج؟ إلا كشف الكربة عن وجه المؤمن برؤية الواقع و الأمر حينما تتحقق تلك الدولة العظيمة التى تملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئت ظلماً وجَوراً؟

فالانتظار اذا له نتيجتان

۱-إنَّه بالفعل يُحقِّق (كشف الكربة) بنحو مجمل.۲-إنَّه عاملٌ جذرى أساسى للفرج بظهوره سلام الله عليه حيث يسود الحكمُ الإلهى الأرضَ كلّها.ووزانُ الانتظار وزانُ النية التى هى خير من العمل حيث جاء فى الحديث نيةُ المؤمن خير من عمله لأن هذه النية من ناحية هى التِّى ترفع مستوى الإنسان ومن ناحية أخرى تلازم العمل بل توجده(قل كلٌّ يعملُ على شاكلته) [۲۶۷] .وليعلمْ أنَّ تعجيل الفرج يتناسب مع الإنتظار شدَّةً وضعفاً. ومن هذا المنطلق نشاهد أن الآية الكريمة تصرح بقولها:(..وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب) [۲۶۸] فقربُ نصر الله متناسبٌ مع طلب النصر(متى نصر الله) وهذا الطلب الأكيد لا يحصل إلاّ بعد اليأس(حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) [۲۶۹] .

الانتظار و جانباه الإيجابى و السلبى

إنَّ كلمة الانتظار تدُّل على حالتين كامنتين فى روح المنتظر، فمع التأمَّل فى هذه الكلمة نشاهد أنَّها تدلُّ على جانبين أساسيين(إيجابىٌ وسلبىٌ) لكل منهما دور مهمّ فى معنى الكلمة وهذان الجانبان هما:۱- الإيجابى: الجانب المطلوب و المحبوب للمنتظِر و المتوقَّع الوصول إليه وهو الخير والبركة وتمكين الدين على الأرض كلِّه فلو لم يتوقع حدوث حالة جديدة و إيجابية فى المستقبل فلا مصداقية

للانتظـار ولا معنی له.۲- السـلبی: الجـانب غیر المطلوب و غیر المحبوب الـذی یتمثَّل فی الحالـة الفعلیـة التی یعیش فیها المنتظر تلک الحالـة المُؤذیة التی یأمل المنتظر أن یتخلَّص منها،فلو کان الوضع الفعلی هو الوضع المطلوب فلا معنی للانتظار إذاً ولا مبرر له.وبعبارة أوضح: هناک تناسب عکسی بین أمرین هما:۱-الیأس من الحالة الفعلیَّة المعاشَة.۲-الرغبة فی الحالة المستقبلیَّة المتوقعة.هذا ما یستفاد من نفس الکلمـة من دون النظر إلی أی أمرٍ آخر خارج الکلمـة وتشـهد لهـذه الحقیقة الآیة الکریمة الّتی وردت فی هذا المجال حیث المعنی والسیاق وحیث الأحادیث الـدالَّة علی ذلک:قال تعالی:(أمن یجیب المضـطر إذا دعاه ویکشف السوء ویجعلکم خلفاء الأرض أإله مع الله قلیلا ما تذکرون) [۲۷۰] .فالآیة الکریمة تشیر إلی الجانبین المتواجدین فی نفس المضطر:۱- سوءٌ غیر مکشوف وهو السوء المطلق الـذی من خلاله حـدثت سائر مصادیق السوء وهـذا السوء یتمثَّل فی أمرٍ واحـد وهو أنَّ خلافـة الأرض لیست بیـد المُضـطَر.۲- وهنـاک توقُّع ورجـاء و رغبـة کامنـة فی نفس المضـطر وهی أن تکون الخلافـة العـامَّة علی جمیع الأـرض له ولمن یقتـدی به ویخطو خطاه.وأمّا الحدیث عن شخصیَّة المضـطر وأنَّه من هو؟ فهو خارج عن بحثنا ههنا ولکن قوله تعالی(ویجعلَکم خلفاء الأرض) یُنبأنا عن حقائق کثیرة لعلَّنا شرحناها فیما بعد.فلا یمکن للمؤمن ممارسةُ عملیةِ الانتظار إلّا بعد عرفان أمرین متلازمین:الأول: وهو الأصل والأهم ویتمثَّل فی معرفـة تلک الخلافـة الإلهیَّة وهذا هو التولِّی.الثانی: وهو تابعٌ وملازم للأصل وهو معرفة السوء الذی یتمثَّل فی الواقع الفعلی ومن ثمَّ التبرِّی منه.وکلاـ الأـمرین یفتقران إلی الوعی والتـدبُّر والـدقَّة فنقول:إنَّه من الأفضـل أن نبـدأ بالأـمر الثـانی أعنی معرفـة السوء ورفضه تحت عنوان الإنتظار والرفض ثمَّ نتحدَّث عن الأمر الأوَّل تحت عنوان الانتظار والرجاء.

الانتظار والرفض

إنَّه من الضـروری لمن یعیش حالـة الانتظار أن یعرف مدی انحراف الواقع الفعلی عن الحقیقة والصواب وینبغی أن یصل إلی مسـتوی من الانزجار والتنفُّر بحیث یحسّ بأنَّه بالفعل سـجین فی هـذه الدنیا وبالفعل هو مقیّدٌ بأنواع القیود التّی لا مفکَّ منها ولا مفرّ إلّا بظهور المنجی الحقیقی وهو الحجة بن الحسن المهدی عجل الله تعالی فرجه الشـریف.. وینبغی له أن یشـعر بأنَّ المشـکلة التّی یعیشـها لیست هی مُشـکلةٌ جزئیَّة یمکن التحرِّی عنهـا والتخلُّص منهـا بسـهولة بـل هی مُشـکلةٌ کبیرة ومعضـلةٌ عظمی قـد رسَّخت جـذورَها فی جمیع الأرجاء ونشـرت سمومَها فی کافة الأنحاء، فنحن عندما نلاحظ المجتمع نری أنّ أبشع أنواع الظلم یسوده فلا حریة فکریة تحکم الناس ولا إرادة یمارسونها وإن کانوا یتصورون أنهم أحرار.فعلی سبیل المثال نشاهـد أنَّ الأجهزة الإعلامیة العالمیَّة تجسِّد الباطل وکأنَّه الحقّ وتصوِّر الکذب وکأنه الصدق وکل شیء حول الإنسان مزیَّف ولکنَّه لا یشعر بهذه المشکلة التی وقعت علیه فلا یفکر إذاً فی تبدیل ما هو علیه من الاـنحراف والإغفال.فإذاً للتعجیل فی فرجه علیه السـلام ولإیجاد الـداعی فی المجتمع یجب أن ینتشـر وعلی الأقلّ الشـعور بالمظلومیَّة کی یعلم الإنسان ویحس بکلِّ وجوده بأن الظلم قد شمله هو أیضاً حیث یعیش تحت ظلّ تلک الشجرة الخبیثة التّی أسَّستها السقیفة حیث ظهر الفساد فی البرِّ والبحر ومن ثمَّ سوف یفکر فی إنقاذ نفسه من هذه المشکلة.وینبغی للإنسان أن یعرف أنَّه لا محیص ولا مناص إلّا بتوجُّهه علیه السـلام، ومن ثمَّ بظهوره ومباشـرته للحلّ بأسـلوبه الملکوتی، وعلیه أن یـدرک هـذه الحقیقة بجمیع وجوده بروحه ودمه وجسـمه وجوارحه بحیث لا تمرُّ علیه ساعة بل لحظة إلا وهو یشعر بفقدان النور وباستیلاء الظلام علی الکون وهذه الحالة لاـ تحصل له إلا بالمعرفـة أعنی معرفـة الله و معرفتهم علیهم السـلام ودولتهم المبارکـة فلا بـد أن یکون علی بصـیرة من أمره حیث أن الأعمی لا یمکنه أن یـدرک النور مهما شُرِح له، وهذه المعرفة تلازمها معرفة أخری وهی معرفة أسالیب الأعداء الشـیطانیَّة و مسـتوی عـداوتهم للحق وانحرافهم عن الواقع وبعـدهم عن الله تعالی، وعنـد وصول المؤمن إلی هذه المرحلة من الوعی والإدراک ینبغی له أن یلتزم بواجب هو من أهمِّ الواجبات ألا وهو التبری من أعـداء الله.ثمَّ إنَّ هـذه الحالة النفسـیة أعنی الرفض سوف تکون لها آثار إیجابیَّة فی أخلاقه وأعماله تجعله یشـتاق إلی ما سـیحقَّق من النصـر وتمکین الحق وهکذا سوف یزداد الاشتیاق إلی أن ینقلبَ إلی قرارٍ حاسمٍ ومن ثمَّ إرادة جدِّیة وطلب مؤکَّد وحینئذ سوف یراه المهدی علیه السلام(متی ترانا) ومثل هذا الإنسان سوف یتفاجأ برؤیته علیه السلام

فلا یری نفسَه إلّا ویعیش دولته العظیمهٔ وظلَّه الملکوتی المبارک(..ونراک وقد نشرت رایهٔ الحق تُری)

الرفض من العبادات الاجتماعیهٔ

إنَّه من النتائج الخبیثهٔ والآثار السیِّئهٔ التی نشأت جرّاء عزل الدین عن المجتمع و فصلهٔ عن الحُکم خلال قرونٍ متوالیهٍ، هو تحریف المفاهیم الدینیهٔ وتفسیرها تفسیراً مؤطّراً بإطار الفرد لا یتخطاه قید أنملهٔ وکأنَّ الدین لا یمسُّ المجتمع بصلهٔ، وهذه الآفهٔ قد تسرَّبت بشدّهٔ فی تقییم المفاهیم الأخلاقیهٔ الواردهٔ فی القرآن الکریم والأحادیث الشریفهٔ،فقد فُسرَّت جمیعها أو أکثرها تفسیراً فردیاً وکأنها لا علاقهٔ لها بالمجتمع ولا ـ مساس لها بالأمَّهٔ وکأن الغایهٔ من بعث الرسل وإنزال الکتب هو إیصال الأفراد کأفرادٍ إلی الکمال المطلوب لیس إلّا.ومن المؤسف أنَّ هذا النوع من التفسیر مع غایهٔ بعده عن روح الإسلام صار کالبدیهی عند أکثر المسلمین حتی عند علماء الإسلام، وقد ترکزت هذه الأفکار فی المجتمع-من خلال هؤلاء الجهلهٔ- ترکیزاً شدیداً بحیث أصبح کلُّ من یخالفها من جملهٔ الشاذِّین عن الدین وفی زمرهٔ المنحرفین عن الصراط المستقیم!! وبالنتیجهٔ من المطرودین والخارجین عن ربقهٔ الإسلام والمسلمین.هذا والقرآن بصریح العبارهٔ یبیِّن السرّ فی بعث الرسل بقوله:(لقد أرسلنا رسلنا بالبینات وأنزلنا معهم الکتاب والمیزان لیقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحدید فیه بأس شدید ومنافع للناس ولیعلم الله من ینصره ورسله بالغیب إن الله قوی عزیز) [۲۷۱] .ومن الواضح أنَّ للحدید الذی هو کنایهٔ عن القدرهٔ دورٌ مهم وأساسی فی بناء المجتمع فهو الساعد الآخر الذی یضمن تنفیذَ قوانین الدین بعد الإیمان بالله. ولم یکتف القرآن بذلک بل حرَّضَ کافهٔ المؤمنین بالقیام بالقسط فقال:(یا أیها الذین آمنوا کونوا قوامین بالقسط شهداء لله) [۲۷۲] .وعلی ضوئه: ینبغی أن لا ننظر إلی المفاهیم الإسلامیهٔ من منظار فردی فحسب بل لا بد أن یکون المنظار الاجتماعی هو الحاکم و هو المخیم علی التحلیلات الإسلامیَّهٔ والمفاهیم الأخلاقیهٔ.فمثلاـ التقوی لیس هو مفهوم أخلاقی فردی فحسب بل هو مفهوم اجتماعی أیضا فهناک تقوی فی الإنسان کفرد و هناک تقوی أهمّ وهو التقوی بمفهومه الاجتماعی الذی یرجع إلی الأمهٔ المؤمنهٔ ولکلٍ منهما أثره الخاص به ولکل جزاءه المترتب علیه وثوابه المنسجم معه.وکذلک مفهوم الإیثار و الإخلاص و الکرم و الجود و الغیرهٔ و الشجاعهٔ وغیرها من القیم الإنسانیهٔ الإسلامیهٔ.نفس الحدیث یتأتّی فی المفاهیم اللا إنسانیهٔ و القیم اللا أخلاقیهٔ و اللا إسلامیهٔ..کالبخل و الریاء والنفاق و الخیانهٔ والشره و الجبن وغیرها من المفاهیم.نعم هناک بعض المفاهیم(وهی قلیلهٔ) یتغلب علیها الجانب الفردی کما أن هناک مفاهیم یتغلب علیها الجانب الاجتماعی، و لکن هذا لا یعنی أن نتمسک بها کمفاهیم خاصّهٔ فردیَّهٔ.والمتأمل فی القرآن الکریم والأحادیث الشریفهٔ سوف یذعن بما قلناه. ولا بأس بذکر مثال واحد فنقول:مثلا قوله تعالی فی سورهٔ الشعراء فی ثمان آیات عن لسان الأنبیاء(فاتقوا الله و أطیعون) [۲۷۳] وکذلک فی سورهٔ الزخرف [۲۷۴] ، هو خطاب للمجتمع الذی کانوا یعیشونه، ذلک المجتمع المبتعد عن واقع الدین. ولیس الخطاب متوجِّهٌ إلی الأفراد خاصَّهً.ومن هذا المنطلق نقول لو أن القیم الأخلاقیهٔ أو المفاهیم الاعتقادیهٔ رسخت فی عدد من الأفراد حق الرسوخ ولکن لم تتجسد تلک المفاهیم فی الأمهٔ الإسلامیهٔ کأمهٔ فهل یجدی ذلک نفعا للأمهٔ؟ وهل یرتفع الضرر عن الأمهٔ؟ من الواضح أن ذلک لا یجلب منفعهٔ للأمَّهٔ کما أنه سوف لا یدفع شراً عنها بل المصیبهٔ سوف تشمل الأفراد أیضا مهما کانوا یتحلَّون بالصلاح والخیر قال تعالی:(فلما نسُوا ما ذکّروا به أنجینا الذین ینهون عن السوء وأخذنا الذین ظلموا بعذاب بئیس بما کانوا یفسقون) [۲۷۵] (واتقوا فتنهٔ لا تصیبن الذین ظلموا منکم خاصّهٔ واعلموا أنَّ الله شدید العقاب) [۲۷۶] .وذلک حیث لا استثناء فی القانون الإلهی الذی یتعلّق بالأمَّهٔ.بل لو دققنا النظر وتعمقنا فی الأمر لوصلنا إلی حقیقهٔ أخری قد استترت عن الکثیر وهی: أنه من الصعب أن نحکم بصلاح فرد وهو یعیش فی أمهٔ فاسدهٔ ذلک الفرد الذی لم یوصل نفسَه إلی مستوی القیادهٔ والإشراف علی أمَّته أو لم یهجرهم هجراً جمیلاً کی یسلم من آفاتهم!!وربما نستلهم هذا الأمر من الآتیین السابقتین:فبالنسبهٔ إلی الآیهٔ الأولی نلاحظ أنَّ الذین نجَوا هم الذین(ینهون عن السوء) وأمّا الذین ظلموا الذین هم الفسّاق سواء المظهر فسقه أو الساکت عن الجریمهٔ فإنَّ الله قد أهلکهم.وبالنسبهٔ إلی الآیهٔ الثانیهٔ نشاهد أنَّ غیر الظالمین أیضاً قد شملتهم الفتنهٔ حیث أنَّ استسلامهم للظلم هو ظلمٌ فی القاموس

الإلهی.

صفات المنتظر

صفاته الاجتماعية

الأحاديث الشريفة قد ذكرت صفات للمنتظر وهی(الحزن -التسليم-اليأس-وطول السجود وقيام الليل واجتناب المحارم - والدعوة إلی دين الله سراً و جهراً-وحسن العزاء وكرم الصحبة-وحسن الجوار وبذل المعروف وكف الأذی وبسط الوجه و النصيحة والرحمة للمؤمنين وأداء الأمانة إلی البر والفاجر)ولكن:علی ضوء ما شرحنا ينبغی أن نعرف بأن صفات المنتظر ليست هی صفات فرديَّة فحسب بل ينبغی أن ينطلق الفرد منها فی بادئ الأمر لتستوعب كافَّة زوايا المجتمع الذی يعيشه وتتفاعل به الأمَّة حتی تعمُّ فائدتها، فالانتظار وما يترتب عليه من الصبر والحزن وحسن العزاء واليأس ووو.. كلها لا بد أن تتجسد فی المجتمع ولا تنحصر فی الفرد ومع تجسُّدها فی المجتمع سوف يقترب الفرج وينكشف الضرّ إنشاء الله.

الرفض الاجتماعی

وهاهنا وبصريح العبارة نقول:أنَّ التكليف الرئيسی الذی يُمثِّل أهم التكاليف فی عصر الغيبة هو ما أشرنا إليه سابقاً وهو الرفض ولكن هذا التكليف ليس هو تكليفاً فردياً فحسب بل هو تكليفٌ اجتماعی فيلزم علی المؤمن أن يكون رفضُه رفضاً ينطلق من منطلق شرعی الهی حتی يتقرب به إلی الله فيكون عبادةً من نمط العبادات الاجتماعية التی تخيِّم علی جميع العبادات الفردية.ولأجل أن يتَّسم الرافض للمجتمع الفاسد بوسام إلهی ينبغی له أن يمارس الأمور التالية:الأول: البناء الفردی وأعنی به السعی للتقرب إلی الله بالتلبس بلباس التقوی الذی هو خير لباسٍ حتَّی يرتفع مستوی رفضه هذا من السلب المطلق الذّی هو(لا) إلی سلبٍ يتضمَّن إيجاباً. وعندئذ سوف يكون رفضُه رفضاً مقدَّساً له معنی ومفهوم رسالی عميق فليست كلُّ لاءٍ هی بالفعل لاء، بل هذا النمط من اللاء أفضل من ملايين نعم إن صحَّ القياس بينهما.فهذا الرفض ليس من السكوت المذموم الذی هو حالةٌ سلبيةٌ جوفاءُ تُعرقل الإنسان والمجتمع. كلّا! بل هو حالةُ صراخٍ ليس مثلها صراخ(ويكفيك نموذجاً سكوت علیٍّ عليه السلام طوال خمسة وعشرين سنة) وهذه الحالة هی الحالة التكاملية التِّی تبنی الإنسان وترفع من مستواه إلی الأعلی وتجعله يتكامل شيئاً فشيئاً من دون الوقوف عند حدٍّ.. وكذلك تُنمِّی المجتمع وترفع مستواه وتجعله يعيش عيشة عزيزة لا يتسرب إليها ذلٌّ وهوان ولا تعتريها آفةٌ وخذلان. فلِمَ لا تكون هذه الحالة أفضل العبادة؟ ولِمَ لا يكون أفضل الجهاد؟ ولم لا يصل هذا الإنسان المتحلِّی به إلی مستوی المتشحط بدمه فی سبيل الله؟

الصبر

الثانی: إنَّ هذا الرفض لا يمكن أن يستقرَّ فی ضمير الإنسان إلا بعد تعزيزه بخصال حميدة أخری وهی:ألف: الصبروهذه الصفة هی أهم تلك الصفات لأنَّها فی الواقع الضمان لتلك الحالة، والصبر هاهنا يختلف عن الصبر فی المواطن الأخری بل الصبر الحقيقی الذی هو كالأم لسائر المصاديق هو هذا النوع من الصبر حيث اشتماله علی جميع أنواع الصبر التی نطقت بها أحاديثنا الشريفة وهی ثلاثة كما فی الحديث الذی نقله المحدِّث الكلينی قدِّس سرُّه:(بإسناده عن علی عليه السلام قال: قال رسول الله صلی الله عليه وآله وسلَّم الصبر ثلاثة: صبرٌ عند المصيبة، وصبرٌ علی الطاعة، وصبرٌ عن المعصية...) [۲۷۷] .وقد ذكرت هذه الرواية درجاتٍ أخروية لكلٍّ من تلك الأصناف الثلاثةولكنَّ الصبر الملازم للانتظار قد استوعب هذه المراحل الثلاثة وذلك لأنَّه:- هناك أعظم مصيبة ابتلی بها المؤمن المنتظر وهی مصيبة فقدان قائده الروحی وإمامه الثانی عشر الحجَّة بن الحسن المهدی عجَّل الله تعالی فرجه الشريف، فهو

یعیش حالـة الیتم وهـذه المعضـلة العظمی بطبیعتهـا تتطلَّب الصبر.- هنـاک طاعـة تتجسـد فی التبری من کـل مـا و من هو یزاحم هـذه الروحیَّة(أعنی روحیَّة الانتظار) (فإنهم عـدولی إلاّ ربّ العالمین).- وهناک معاصـی محیطـة بهـذا الإنسان المؤمن إحاطـة کاملة، تلک الأمور التی تقصم الظهر من المُغریات المادِّیة والتسویلات الشیطانیة المنتشرة علی مستوی وسیع بحیث لا یلتفت الإنسان یمیناً أو یساراً إلاّ وهی بارزة أمامَه خصوصاً فی عصـرنا الحالی حیث الأقمار الصـناعیة وحیث الشبکات الدولیَّة مثل الإنترنت والأجهزة الإعلامیّة التّی مهمَّتُها الرئیسـی نقل الفساد إلی العالم الثالث.فالمنتظر للدولـة المبارکة سوف یعیش کلَّ تلک المغریات طوال حیاته فیشاهد بأمّ عینیه أنَّه یسـیر إلی جهة والعالم بأجمعه یسیر إلی جهة أخری مضادَّة له تماماً ومن ناحیة أخری یشاهد أنَّ جنود الشیطان وأهل الدنیا یمثِّلون السواد الأعظم فهم الملأ الذین یملئون الأعیُن.ومن المؤسف جدّاً أنَّ أرباب الدنیا ربَّما ینطلقون من منطلق النصـیحة والإصلاح والحب فی مسـیرتهم الباطلـة حیث یُترائی أنهّا حرکـة إصـلاحیة بـل إسـلامیة یتقرب بها إلی الله، ومن الصـعب أن یقتنعوا بخطأهم أو یحتملوا ذلک، ومن الواضـح أنَّ هـذا الأمر سوف یجعل المؤمن المنتظر الصابر یعیش حالـة صـعبة أخری وهی حالـة:(الغربة) ولا تتلخَّص هذه الغربة فی الغربة الاجتماعیة بل هناک غربة أصعب من ذلک ألا وهی الغربة الفکریة والأیدیولوجیة التی تؤکد علیها الأحادیث الشریفة وتجعلها من صـفات وعلائم المنتظر الحقیقی کالحدیث التالی:(..علی بن موسـی الرضا علیه السـلام ...قال بدأ الإسـلام غریبا وسیعود غریبا فطوبی للغرباء قیل یا رسول الله ثم یکون ما ذا قال ثم یرجع الحق إلی أهله) [۲۷۸] .التصابر:فماذا یفعل إذاً هذا الصابر کی یستمرَّ فی صبره ولا یهون؟ لابـدّ وأن ینتقل من مرحلـة الصبر إلی مرحلة أرقی وهی التصابر کی یخلق الصبر فی الآخرین حتَّی ینسـجموا معه فیسـتمرَّ فی مسـیرته ویصـمد فی مـواقفه حـتی تحقـق تلـک الدولـة العـالمیَّة المبارکـة،وسورة العصـر هی التّی ترسم الطریق للمؤمنین المنتظرین قـال تعالی:(بسم الله الرحمن الرحیم والعَصـر)أی قسـماً بالعصـر وربَّما یکون المقصود من العصـر فی هـذه السورة هو عصـر الحجَّة عجـلّ الله تعـالی فرجه الشـریف.أو مـا ذکره الإمام قـدِّس سرُّه حیث قال:(یقال:أن العصـر هو الإنسان الکامل، وهو إمام الزمان سلام الله علیه أی عصارة جمیع الموجودات أی قسـماً بعصارة جمیع الموجودات قسـما بالإنسان الکامل) ولا منافاة بین التفسـیرین.(إنَّ الإنسـان لفی خُسـر)هـذا الإنسـان الـذی قـد حُکـم علیـه بالخسـران المطلـق هـو الإنسـان الـذی یعیش خـارج العصـر أی یعیش حـالة الغیبة.والإنسان المذکور هنا یشـمل جمیعهم(إلاّ الذین آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)والاستثناء بطبیعته یدلُّ علی النُـدورة والغربـة فالنـادر من النـاس والقلیـل منهم یتَّسـمون بهـذه السـمات الأربعـة المتوالیـة والتِّی ترجع بالأـخیر إلی صـفة فاردة وهی(انتظار الفرج) علی ضوء ما قدمنا.

الی متی

والجـدیر بالـذکر أنَّ التواصـی بـالحق والتواصـی بـالصبر هی حالـة ثابتـة للمؤمن مـادام هو مؤمن.فمن الأحری أن یُسأل إلی متی هـذا التواصـی؟ وفی آخر المطاف هل لمجتمع أن یعیش الراحـة والطمأنینـة والهـدوء؟ وإن کان الجواب سـلبیاً فأین حکمة الله البالغة وأین لطفه الشامل وأین کرمه الجمیل؟أقول: لابـدَّ من وصول الإنسان المؤمن المتَّسم بتلک الصـفات إلی مرحلة نهائیة وهی مرحلة الکمال، وهی مرحلة العیش فی العصر لا خارجه علی ما تدلُّ علیه السورة المبارکة.

الانتظار و الرجاء

اشاره

قلنـا أنَّ هنـاک بُعـدین للانتظـار أحـدها الرفض والثـانی الرجاء وفصَّلنا الحـدیث فی البعـد الأوَّل وحان الآن التحـدُّث عن البعـد الثانی فنقـول:هنـاک أحـادیث تـؤکِّد علی أنَّ أمر الأـئمَّة علیهـم السـلام هـو الشـیء المُنتَظَر.فهـل هنـاک طریـقٌ یوصـلنا إلی أمرهـم علیهم

السلام؟وهل من السهل أن نعرفَ أمرَهُم؟أمرُهم صعبٌ مُستَصعَبٌوردت أحادیث کثیرة جدّاً تؤکّد:(إنَّ أمرَنا صعبٌ مستصعبٌ لا یَحتمله إلا مَلَکٌ مقرَّب أو نبیٌّ مُرسلٌ أو عبدٌ امتَحَن اللهُ قلبَه للإیمان)فلا بدَّ إذاً من التعمُّق فی مثل هذه الأحادیث حتَّی نعرف المقصود منها ثمَّ نعرِف کیفیَّة تسهیل هذا الأمر المُستصعب؟فنقول:الکلام حول هذه الأحادیث یتلخَّص فی جانبین:

من ناحیة الصدور

ویشتمل علی:ألف-مصادر الأحادیث.ب- المعصومون الذین نقلت عنهم تلک الأحادیث.ألف-المصادرنقل الحدیث کلٌّ من:۱-الکلینی رحمة الله علیه فی کتابه الکافی وقد جعل لذلک باباً مستقلاً وهو باب(فیما جاءَ أنَّ حدیثَهم صعبٌ مستصعبٌ) [۲۷۹] .۲-الشیخ المفید فی إرشاده واختصاصه.۳-الصدوق فی توحیده وخصاله وأمالیه وکتابه معانی الأخبار.۴-وأیضاً فی کتاب بصائر الدرجات ورجال الکشی.وکُتبٍ أخری ذکرها العلامَّة المجلسی فی بحاره من أراد الإطّلاع علیها فلیراجع.ب-عمَّن نُقلتعن رسول الله صلی الله علیه وآله وکلٍّ من أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام والإمام زین العابدین علی بن الحسین علیه السلام والإمام أبی جعفر الباقی علیه السلام والإمام أبی عبد الله الصادق علیه السلام.

من ناحیة الدلالة

ویشتمل علی:(عبارات الحدیث المختلفة والجمع بینها)وینبغی لنا أن نَذکر کافة العبارات التِّی صدرت عنهم علیهم السلام فی هذا المجال کی نفهم المراد الصحیح من کلامهم بالجمع بینها فنقول:ألف: أمّا بالنسبة إلی الشیء الذی هو صعبٌ مستصعب:وردت العبارات التالیة:(قال رسول الله صلی الله علیه وآله إنَّ حدیثَ آل محمد صعب مستصعب) وعن الأئمَّة علیهم السلام(إنَّ أمرَنا..) (إنَّ حدیثنا...) (إنَّ علم العالم...) (إنَّ کلامی...)ب:الأوصاف المختلفة:وأیضاً بالنسبة إلی أوصاف ذلک الأمر فقد وردت بِصُوَرٍ مختلفةٍ:أهمُّها:(عن أبی جعفر علیه السلام قال إنَّ حدیثنا صعبٌ أجردٌ ذکوانٌ وَعِرٌ شریفٌ کریمٌ) (..عن الاصبغ بن نباته عن أمیر المؤمنین علیه السلام قال سمعته یقول إنَّ حدیثنا صعبٌ مستصعبٌ خَشِن مخشوشن)وفی حدیث أبی جعفر علیه السلام یخاطب جابر بن یزید:(یا جابر حدیثنا صعب مستصعب أمرد ذکوان وعِر أَجرد)وأیضاً فی حدیث أبی الجارود عن الإمام الباقر علیه السلام:(سمعته یقول ان حدیث آل محمد صعب مستصعب ثقیل مقنع اجرد ذکوان..)وفی حدیثٍ آخر قال الراوی:(قلت فسر لی جعلت فداک قال ذکوان ذکیٌ أبداً قلت أجرد قال طریٌ أبَداً قلت مقنَّع قال مستور)وفی خصوص الکلمة الأخیرة ورد حدیث فی الکافی:(عن محمد بن یحیی عن احمد بن محمد بن عیسی عن علی بن الحکم عن خالد بن نجیح عن أبی عبد الله علیه السلام قال إنَّ أمرَنا مستور مُقَنَّعٌ بالمیثاق فمن هتک علینا أذلَّه الله)ویمکن تقسیم هذه الصفات إلی قسمین رئیسیین:ألف: صعبٌ مستصعبٌ وعِر خَشِن مخشوشن. ثقیل.ب: اجرد ذکوان ذکیٌ قال(طری أبداً)ج: مقنَّع قال مستور.د: لا یعرفه إلاّ؟ومن هو الذِّی یَعرِفُ أمرَهم و یُقرُّ به و یُؤمنُ به ویَعیه ویَصبر علیه ویعمل به ویحتمله ویعقله علی حسب الروایات؟؟الأحادیث فی هذا المجال تؤِّکد علی أنَّهم ثلاثة وهم:(مَلَکٌ مقرَّب أو نبیٌ مُرسَلٌ أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإیمان)ولکن هناک حدیث أضاف إلی هذه الثلاثة أمراً رابعاً وهو مدینة حصینة. وفی بعضها مؤمن ممتحن وورد فی بعضها إلاّ من کتب الله فی قلبه الإیمان ووردت صُوَر أخری وهی:(إلا صدور منیرة أو قلوب سلیمة و أخلاق حسنه) (إلا صدور مشرقة وقلوب منیرة وأفئدة سلیمة وأخلاق حسنة) (ولا تعی حدیثَنا إلا صدور أمینة وأحلام رزینة) (لا یعی حدیثنا إلا حصون حصینة أو صدور أمینة أو أحلام رزینة) (لا یعمل به ولا یصبر علیه إلا ممتحن قلبه للإیمان)وفی حدیث عمرو بن الیسع عن شعیب الحداد بعد ما نقل ذکر الصادق علیه السلام الصفات الثلاثة وأضاف(أو مدینه حصینة) قال عمرو فقلت لشعیب یا أبا الحسن(وأی شئ المدینة الحصینة قال فقال سالت الصادق علیه السلام عنها فقال لی القلب المجتمع)أقول:و من خلال الأحادیث السابقة نستنتج النتائج التالیة:۱- إن المعرفة و العمل متلازمتان لا تنفکان أبدا.۲- إن هناک تسلسل طولی بین کل من الأمرین:الف:

الإیمـان و المعرفـهٔ و الوعی و التعقـل.ب: الاحتمـال(أی التحمُّل) والعمـل والصبر علی ذلـک.فلاـ یمکن للإنسـان أن یحتمـل الصـعب المستصـعب إلا بعـد أن أذعن به وتعرَّف علیه حق المعرفـهٔ.۳- إن أمرهم علیهم السـلام هو شـئ مجرد صـافٍ نورانی خـارج عن عالم الکثرهٔ و المادهٔ(ذکوان أجرد) وبطبیعته یکون(مقنعا) أی مسـتوراً.۴- إن الأمور النورانیـهٔ مهما کثرت فهی واحـدهٔ لتجرُّدها و بساطتها.. فلا تناقض و لا تخالف بین(الحـدیث والکلام والأمر) مادام کلها تنطلق من ذلک النور بل فی الواقع کلُّها ترجع إلی شـیءٍ واحـد وهو الأمروهناک نتیجهٔ خامسهٔ وهی:

دولهٔ المهدی دولهٔ النور

إن الصـفات المـذکورهٔ فی الأحادیث للمؤمن الـذی یحتمل أمرهـم کلَّها صـفاتٌ تنبئ عن واقع نورانی قـد اسـتولی علی ذلک الإنسان المتَّصف بتلک الصـفات ککونه ملک مقرب أو نبیٌّ مُرسل أو عبـد ممتحن أو صـدور منیرهٔ أو قلوب سـلیمهٔ... الـخ وهـذا إن دلَّ علی شئ فإنمـا یـدل علی أن الواقع الـذی سوف یحققه ولی الأمر عجل الله تعالی فرجه الشـریف هو واقع یختلف تماماً عمّا نعیشه نحن فی عصـرنا الحالی من العیشـهٔ المادیـهٔ الصـرفهٔ التی لا تتحلی بالمعنویـهٔ والنورانیـهٔ أصـلًا.. وقد مَلئَت هذه الدنیا أفکارَنا وأذهاننا بحیث لم تسـمح لنـا أن نتصور تلـک الدولـهٔ تصوراً صـحیحاً ناهیـک عن التصـدیق بهـا کمـا هی وبالفعـل صار هـذا الأمر أمراً صـعباً مستصـعباً علینـا.وعلیه:یتأکـد علینـا أن نجـدد نظرنا فی فهم و معرفـهٔ دولـهٔ المهـدی کی نرغب فیها وننتظرها..وفی زیارهٔ الجامعهٔ الکبیرهٔ:(عارف بحقکـم مقر بفضـلکم محتمـل لعلمکـم محتجب بـذمتکم معترف بکـم مـؤمن بإیـابکم مصـدق برجعتکـم منتظر لأـمرکم مرتقب لـدولتکم)وفی زیـارهٔ أخری:(السـلام علیکم یا أئمـهٔ الهـدی السـلام علیکم یا أعلام التقی السـلام علیکم یا أولاد رسول الله أنا عارف بحقکم مستبصر بشأنکم موقن بإیابکم مصدق برجعتکم منتظر لأیامکم مرتقب لدولتکم).

پاورقی

[۱] البقرهٔ ۳۱.

[۲] البقرهٔ ۳۱.

[۳] بحار الأنوار ج ۱۱ ص ۱۳۷ روایهٔ ۱ باب ۲، ج ۲۱ ص ۲۲۷ روایهٔ ۶ باب ۲۹، ج ۲۶ ص ۳۳۸ روایهٔ ۴ باب ۸.

[۴] الکافی ج ۱ ص ۴۴۳ روایهٔ ۱۵.

[۵] بحار الأنوار ج ۱۶ ص ۴۰۶ روایهٔ ۱ باب ۱۲، ج ۴۰ ص ۲۰ روایهٔ ۳۶ باب ۱۹.

[۶] بحار الأنوار ج ۱۵ ص ۲۴ روایهٔ ۴۳ باب ۱، ج ۲۵ ص ۲۱ روایهٔ ۳۷ باب ۱، ج ۵۷ ص ۱۷۰ روایهٔ ۱۱۶ باب ۱.

[۷] مصباح الهدایهٔ إلی الخلافهٔ و الولایهٔ ص ۱۰۵.

[۸] الکافی ج ۱ ص ۴۴۱ روایهٔ ۹.

[۹] بحار الأنوار ج ۱۰۰ ص ۱۸۳ روایهٔ ۱۱ باب ۲.

[۱۰] البقرهٔ ۳۲.

[۱۱] البقرهٔ ۳۳.

[۱۲] الشعراء ۶.

[۱۳] الأنعام ۳۴.

[۱۴] الأنعام ۶۷.

[۱۵] یونس ۷۱.

[۱۶] ص ۶۷.

[۱۷] التغابن ۵.

[۱۸] الأعراف ۱۰۱.

[۱۹] الحجر ۴۹.

[۲۰] الکهف ۷۸.

[۲۱] بحار الأنوار ج ۱۱ ص ۱۴۵ روایهٔ ۱۵ باب ۲، ج ۲۶ ص ۱۸۳ روایهٔ ۳۸ باب ۶.

[۲۲] بحار الأنوار ج ۳۷ ص ۶۲ روایهٔ ۳۱ باب ۵۰.

[۲۳] البقرهٔ ۳۳.

[۲۴] فاطر ۳۸.

[۲۵] الحجرات ۱۸.

[۲۶] هود ۱۲۳.

[۲۷] النحل ۷۷.

[۲۸] الکهف ۲۶.

[۲۹] الجن ۲۶.

[۳۰] قد مرّ فی الهامش رقم ۶.

[۳۱] الحجر ۲۸،۲۹.

[۳۲] الإسراء ۸۵.

[۳۳] الکافی ج ۱ ص ۱۳۴ روایهٔ ۴.

[۳۴] الکافی ج ۱ ص ۱۳۳ روایهٔ ۳.

[۳۵] الأعراف ۱۱.

[۳۶] الکافی ج ۱ ص ۱۳۴ روایهٔ ۴.

[۳۷] الکافی ج ۱ ص ۱۴۵ روایهٔ ۷.

[۳۸] البقرهٔ ۳۴.

[۳۹] طه ۱۱۶.

[۴۰] الکهف ۵۰.

[۴۱] بحار الأنوار ج ۶۳ ص ۲۳۴ روایهٔ ۷۳ باب ۳.

[۴۲] الکافی ج ۲ ص ۳۸۶ روایهٔ ۸، وبحار الأنوار ج ۷۲ ص ۹۶ روایهٔ ۱۱ باب ۹۸.

[۴۳] الکافی ج ۲ ص ۳۱۷ روایهٔ ۸، ج ۲ ص ۱۳۰ روایهٔ ۱۱.

[۴۴] ص ۷۵.

[۴۵] شرح دعاء السحر ص۲۲.

[۴۶] ص ۷۵و۷۶.

[۴۷] الحجر۳۲-۳۴.

[۴۸] بحار الأنوار ج ۲ ص ۳۰۳ روایهٔ ۴۱ باب ۳۴.

[۴۹] بحار الأنوار ج ۲ ص ۲۹۱ روایهٔ ۱۱ باب ۳۴.

[۵۰] بحار الأنوار ج ۱۰ ص ۲۲۱ روایهٔ ۲۲ باب ۱۳.

[۵۱] النمل ۱۰.

[۵۲] بحار الأنوار ج ۱۸ ص ۳۸۰ روایهٔ ۸۶ باب ۳.

[۵۳] النجم ۹.

[۵۴] الکافی ج ۲ ص ۳۳ روایهٔ ۲.

[۵۵] الکافی ج ۱ ص ۳۴ روایهٔ ۱.

[۵۶] الکافی ج ۱ ص ۳۸ روایهٔ ۳.

[۵۷] الإسراء ۶۲.

[۵۸] البقرهٔ ۳۵.

[۵۹] الأعراف ۲۱.

[۶۰] طه ۱۲۳.

[۶۱] طه ۱۲۴.

[۶۲] المیزان ج۱۴ ص ۲۲۴.

[۶۳] الکافی ج ۱ ص ۴۱۶ روایهٔ ۲۳، وبحار الأنوار ج ۲۴ ص ۱۷۶ روایهٔ ۷ باب ۵۰.

[۶۴] بحار الأنوار ج ۱۱ص ۳۵ روایهٔ ۳۱ باب ۱، ج ۱۱ ص ۱۱۲ روایهٔ ۳۰ باب ۱. الکافی ج ۱ ص ۴۱۶ روایهٔ ۲۲.

[۶۵] بحار الأنوار ج ۲۶ ص ۲۷۹ روایهٔ ۱۲ باب ۶.

[۶۶] نفس الهامش ۸۱.

[۶۷] بحار الأنوار ج ۲۴ ص ۴۰۱ روایهٔ ۱۳۰ باب ۶۷، ج ۳۶ ص ۱۲۳ روایهٔ ۶۶ باب ۳۹.

[۶۸] بحار الأنوار ج ۲۴ ص ۱۸۷ روایهٔ ۱ باب ۵۲.

[۶۹] بحار الأنوار ج ۲۴ ص ۸۷ روایهٔ ۲ باب ۳۳، ج ۲۶ ص ۲۴۵ روایهٔ ۸ باب ۵.

[۷۰] الشوری ۲۳.

[۷۱] البقرهٔ ۲۷، الرعد ۲۵.

[۷۲] بحار الأنوار ج ۱۳ ص ۳۱۶ روایهٔ ۵۲ باب ۱۰.

[۷۳] طه ۱۱۶-۱۱۷.

[۷۴] البقرهٔ ۳۵.

[۷۵] الأعراف ۱۹.

[۷۶] طه ۱۱۸-۱۱۹.

[۷۷] البقرهٔ ۵۷، ۵۸.

[۷۸] الأعراف/۱۶۱، ۱۶۰.

[۷۹] طه ۸۰.

[۸۰] وهما (وقلنا یا آدم أسکن أنت و زوجُک الجنهٔ و کلا منها رغداً حیث شئتما) (و یا آدم أسکن أنت و زوجُک الجنهٔ فکلا من حیث شئتما و لا تقربا هذه الشجرهٔ فتکونا من الظالمین).

[۸۱] بحار الأنوار ج ۱۳ ص ۱۶۷ باب ۶.

[۸۲] بحار الأنوار ج ۱۱ ص ۷۹ رواية ۸ باب ۴.

[۸۳] بحار الأنوار ج ۱۱ ص ۱۴۵ رواية ۱۴ باب ۲.

[۸۴] بحار الأنوار ج ۱۱ ص ۱۶۷ رواية ۱۳ باب ۲.

[۸۵] بحار الأنوار ج ۱۰ ص ۳۸۶ رواية ۱ باب ۲۳.

[۸۶] شرح دعاء السحر للإمام الخميني ص ۳۹، ۴۰.

[۸۷] بحار الأنوار ج ۱۱ ص ۱۶۵ رواية ۹ باب ۳.

[۸۸] طه ۱۱۷.

[۸۹] طه ۱۲۰.

[۹۰] الناس ۱-۶.

[۹۱] الأعراف ۱۹۹.

[۹۲] طه ۱۲۰.

[۹۳] بحار الأنوار ج ۱۶ ص ۳۸۹ رواية ۹۶ باب ۱۱.

[۹۴] بحار الأنوار ج ۶۷ ص ۲۵۳ رواية ۸۸ باب ۱۲.

[۹۵] بحار الأنوار ج ۹۶ ص ۲۹۰ رواية ۸ باب ۳۶.

[۹۶] الأعراف ۲۰-۲۱.

[۹۷] طه ۱۲۱.

[۹۸] البقرة ۳۶.

[۹۹] طه ۱۲۳. [

[۱۰۰] البقرة ۳۶.

[۱۰۱] البقرة ۳۸.

[۱۰۲] الأعراف ۲۴.

[۱۰۳] البقرة ۵۷-۶۱.

[۱۰۴] المائدة ۳۰-۳۲.

[۱۰۵] المائدة ۳۲.

[۱۰۶] الأعراف ۲۲.

[۱۰۷] طه ۱۲۲-۱۲۶.

[۱۰۸] آل عمران ۱۴.

[۱۰۹] الرعد ۲۶.

[۱۱۰] آل عمران ۱۸۵.

[۱۱۱] الإسراء ۶۴.

[۱۱۲] النساء ۱۲۰.

[۱۱۳] الأعراف ۲۲.

[۱۱۴] آل عمران ۱۹۷.

[۱۱۵] الأعراف۱۶، ۱۷.

[۱۱۶] النساء ۱۱۸.

[۱۱۷] بحار الأنوار ج ۷۴ ص ۲۷۱ روایة ۱۰ باب ۱۶.

[۱۱۸] البقرة ۳۶ والأعراف ۲۴.

[۱۱۹] الانسان۱.

[۱۲۰] الجاثیة ۲۴.

[۱۲۱] یس ۴۱-۴۴.

[۱۲۲] النحل ۸۰.

[۱۲۳] ص۷۹.

[۱۲۴] الإسراء ۶۲.

[۱۲۵] القصص ۶۱.

[۱۲۶] بحار الأنوار ج ۵۳ ص ۷۶ روایة ۷۹ باب ۲۹.

[۱۲۷] بحار الأنوار ج ۹ ص ۲۹۴ روایة ۵ باب ۲.

[۱۲۸] بحار الأنوار۹۶ ص ۳۶۸ روایة ۴۹ باب ۴۶.

[۱۲۹] الآداب المعنویة للصلاة۱۳۶-۱۳۸.

[۱۳۰] بحار الأنوار ج ۹۹ ص ۳۳ روایة ۱۰ باب ۴.

[۱۳۱] بحار الأنوار ج ۱۰ ص ۷۵ روایة ۱ باب ۵.

[۱۳۲] البقرة ۲۱۳.

[۱۳۳] البقرة ۱۵۶.

[۱۳۴] راجع بحار الأنوار ج ۲ ص ۲۷۰ روایة ۲۸ باب ۳۳ و ج ۳ ص ۱۷ روایة ۲ باب ۳.

[۱۳۵] البقرة۲۲.

[۱۳۶] البقرة ۲۹.

[۱۳۷] المؤمنون ۱۹.

[۱۳۸] فاطر ۸.

[۱۳۹] لقمان ۱۹.

[۱۴۰] إبراهیم ۳۲.

[۱۴۱] النحل ۱۴.

[۱۴۲] النحل ۱۴.

[۱۴۳] راجع الأربعون حدیثاً.

[۱۴۴] المؤمنون ۱۱۵.

[۱۴۵] الحدید۳.

[۱۴۶] بحار الأنوار ج ۹۵ ص ۴۲۳ روایة ۴۳ باب ۱۲۹.

[۱۴۷] الشوری ۵۳.

[۱۴۸] البقرهٔ ۱۵۶.

[۱۴۹] النجم ۴۲.

[۱۵۰] طه ۴۱.

[۱۵۱] بحار الأنوار ج ۹۴ ص ۱۱۱ روایهٔ ۱۶ باب ۳۲.

[۱۵۲] بحار الأنوار ج ۸۶ ص ۷۵ روایهٔ ۱۰ باب ۳۹.

[۱۵۳] بحار الأنوار ج ۹۰ ص ۱۷۱ روایهٔ ۱۹ باب ۹.

[۱۵۴] بحار الأنوار ج ۹۵ ص ۲۸۱ روایهٔ ۴ باب ۱۰۸.

[۱۵۵] بحار الأنوار ج ۹۸ ص ۲۲۳ روایهٔ ۳ باب ۲.

[۱۵۶] بحار الأنوار ج ۵ ص ۳۱۳ روایهٔ ۳ باب ۱۵.

[۱۵۷] الرحمن ۲۶-۲۷.

[۱۵۸] الصافات ۴۱-۴۴.

[۱۵۹] القصص ۸۹.

[۱۶۰] العلق ۸.

[۱۶۱] هود ۱۱۹.

[۱۶۲] بحار الأنوار ج ۵ ص ۳۱۳ روایهٔ ۲ باب ۱۵.

[۱۶۳] التوبهٔ ۲۱.

[۱۶۴] التوبهٔ ۷۲.

[۱۶۵] بحار الأنوار ج ۶۷ ص ۳۱۵ روایهٔ ۵۰ باب ۱۴.

[۱۶۶] بحار الأنوار ج ۵ ص ۱۹۵ روایهٔ ۱ باب ۷.

[۱۶۷] الأربعون حدیثاً الحدیث ۳۵.

[۱۶۸] الذاریات ۵۶.

[۱۶۹] فصلت ۵۳-۵۴.

[۱۷۰] البقرهٔ ۴۶.

[۱۷۱] الأنعام۷۵ -۷۹.

[۱۷۲] شرح دعاء السحر ۲۶-۲۹.

[۱۷۳] دعاء الکمیل.

[۱۷۴] بحار الأنوار ج ۹۴ ص ۳۸۹ روایهٔ ۳ باب ۵۲.

[۱۷۵] بحار الأنوار ج ۹۴ ص ۱۱۱ روایهٔ ۱۶ باب ۳۲.

[۱۷۶] بحار الأنوار ج ۷۰ ص ۱۸۶ روایهٔ ۱ باب ۵۳.

[۱۷۷] صحیفهٔ النور ج۱۹ص ۶۱.

[۱۷۸] صحیفهٔ النور ج۱۹ص ۲۸۶.

[۱۷۹] الصفحهٔ ۹.

[۱۸۰] الجمعة ۶.

[۱۸۱] شرح الأسماء الحسنی للسبزواری ج ص وأیضاً الحدیث المنقول من مجالس الشیخ عن ابن عبدون عن ابن الزبیر عن ابن فضال عن فضل بن محمد الاموی عن ربعی بن عبد الله عن الفضیل بن یسار عن ابی جعفر علیه السلام قال قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم قال الله عز و جل الصوم لی و انا أُجزی به دلیل علی ذلک فجزاء الصوم إنّما هو الله کما أکَّد علی ذلک الإمام قدس سرُّه أیضاً. راجع بحار الأنوار ج ۹۶ ص ۲۵۵ روایة ۳۵ باب ۳۰.

[۱۸۲] العنکبوت ۵.

[۱۸۳] البقرة ۴۶.

[۱۸۴] یونس ۷.

[۱۸۵] الکهف ۱۱۰.

[۱۸۶] الصف ۹ والتوبة ۳۳.

[۱۸۷] الفتح ۲۸.

[۱۸۸] القصص ۶۱.

[۱۸۹] النور ۵۵.

[۱۹۰] النور ۵۵.

[۱۹۱] المنافقون ۹.

[۱۹۲] طه ۱۵.

[۱۹۳] العنکبوت ۴۵.

[۱۹۴] الجمعة ۱۱.

[۱۹۵] النساء ۱۰۴.

[۱۹۶] الأعراف ۲۰۶.

[۱۹۷] الأحزاب ۴۲.

[۱۹۸] طه ۱۲۵.

[۱۹۹] الرعد ۲۸.

[۲۰۰] النور ۳۷.

[۲۰۱] النحل ۴۴.

[۲۰۲] بحار الأنوار ج ۱۶ ص ۳۵۹ روایة ۵۵ باب ۱۱.

[۲۰۳] المائدة ۸.

[۲۰۴] بحار الأنوار ج ۱۰۲ ص ۱۲۹ روایة ۴ باب ۸.

[۲۰۵] بحار الأنوار ج ۷۴ ص ۲۵۸ روایة ۵۵ باب ۱۵.

[۲۰۶] الشوری ۲۴.

[۲۰۷] الفرقان۵۷.

[۲۰۸] الأنعام ۹۰.

[۲۰۹] یوسف۱۰۴.

[۲۱۰] بحار الأنوار ج ۱۱ ص ۱۲۲ روایهٔ ۵۶ باب ۱.

[۲۱۱] بحار الأنوار ج ۶۳ ص ۲۵۴ روایهٔ ۱۱۹ باب ۳.

[۲۱۲] بحار الأنوار ج ۱۱ ص ۱۵۴ روایهٔ ۳۱ باب ۲، بحار الأنوار ج ۵۲ ص ۳۷۶ روایهٔ ۱۷۸ باب ۲۷، بحار الأنوار ج ۵۳ ص ۴۲ روایهٔ ۱۲ باب ۲۹، بحار الأنوار ج ۵۷ ص ۳۶۷ روایهٔ ۴ باب ۴.

[۲۱۳] بحار الأنوار ج ۱۱ ص ۱۵۱ روایهٔ ۲۶ باب ۲.

[۲۱۴] ص ۸۶–۸۸.

[۲۱۵] الکافی ج ۸ ص ۲۸۷ روایهٔ ۴۳۲ باب ۸.

[۲۱۶] یونس ۲۰.

[۲۱۷] البقرهٔ ۲۱۳.

[۲۱۸] الشوری ۱۴.

[۲۱۹] بحار الأنوار ج ۲۴ ص ۱۸۲ روایهٔ ۱۸ باب ۵۰.

[۲۲۰] بحار الأنوار ج ۱۱ ص ۱۲۲ روایهٔ ۵۶ باب ۱.

[۲۲۱] بحار الأنوار ج ۲۴ ص ۳۲۵ روایهٔ ۳۹ باب ۶۷.

[۲۲۲] الجن ۱۶.

[۲۲۳] المائدهٔ ۶۶.

[۲۲۴] الکافی ج ۱ ص ۲۵ روایهٔ ۲۱.

[۲۲۵] الکافی ج ۸ ص ۲۴۰ روایهٔ ۲۳۹ باب ۸.

[۲۲۶] بحار الأنوار ج ۵۲ ص ۳۹۱ روایهٔ ۲۱۳ باب ۲۷.

[۲۲۷] الأعراف ۱۷۲.

[۲۲۸] بحار الأنوار ج ۵۲ ص ۳۲۸ روایهٔ ۴۶ باب ۲۷.

[۲۲۹] بحار الأنوار ج ۵۲ ص ۳۳۹ روایهٔ ۸۴ باب ۲۷.

[۲۳۰] بحار الأنوار ج ۵۲ ص ۲۹۱ روایهٔ ۳۵ باب ۲۶.

[۲۳۱] بحار الأنوار ج ۵۳ ص ۶ روایهٔ ۱ باب ۲۸.

[۲۳۲] بحار الأنوار ج ۵۲ ص ۳۱۶ روایهٔ ۱۲ باب ۲۷.

[۲۳۳] هود ۸۰.

[۲۳۴] بحار الأنوار ج ۵۲ ص ۳۲۷ روایهٔ ۴۴ باب ۲۷.

[۲۳۵] بحار الأنوار ج ۵۳ ص ۸۱ روایهٔ ۸۶ باب ۲۹.

[۲۳۶] بحار الأنوار ج ۵۲ ص ۲۸۰ الروایهٔ ۶ باب ۲۶.

[۲۳۷] بحار الأنوار ج ۵۲ ص ۳۱۶ روایهٔ ۱۱ باب ۲۷.

[۲۳۸] بحار الأنوار ج ۷۳ ص ۸۲ روایهٔ ۴۵ باب ۱۲۲.

[۲۳۹] بحار الأنوار ج ۵۲ ص ۳۳۵ روایهٔ ۶۷ باب ۲۷.

[۲۴۰] طه ۱۱۸–۱۱۹.

[۲۴۱] البقرهٔ ۵۹.

[۲۴۲] هود ۱۱۹.

[۲۴۳] التوبة ۱۰۷.

[۲۴۴] بحار الأنوار ج ۷۷ ص ۳۷۳ رواية ۳۵باب ۱۴.

[۲۴۵] بحار الأنوار ج ۵ ص ۳۲۲ رواية ۳ باب ۱۷.

[۲۴۶] هود ۹۳.

[۲۴۷] بحار الأنوار ج ۶۸ ص ۳۴۷ رواية ۱۷ باب ۲۷.

[۲۴۸] بحار الأنوار ج ۸۳ ص ۱۴ رواية ۲۵ باب ۶.

[۲۴۹] الإنسان ۲۴.

[۲۵۰] بحار الأنوار ج ۱۰ ص ۹۹ رواية ۱ باب ۷ و ج ۵۲ ص ۱۲۲ رواية ۲ باب ۲۲.

[۲۵۱] بحار الأنوار ج ۵۲ ص ۱۲۲ رواية ۳ باب ۲۲و ج ۵۲ ص ۱۲۵ رواية ۱۱ باب ۲۲.

[۲۵۲] بحار الأنوار ج ۷۷ ص ۱۴۳ رواية ۱ باب ۷.

[۲۵۳] بحار الأنوار ج ۵۲ ص ۱۲۳ رواية ۷ باب ۲۲.

[۲۵۴] بحار الأنوار ج۵۲ ص۱۲۸.

[۲۵۵] بحار الأنوار ج ۳۶ ص ۳۸۷ رواية ۱ باب ۴۴.

[۲۵۶] بحار الأنوار ج ۸۶ ص ۳۲۳ رواية ۶۹ باب ۴۵.

[۲۵۷] بحار الأنوار ج ۳۶ ص ۲۰۵ رواية ۸ باب ۴۰.

[۲۵۸] بحار الأنوار ج ۸۶ ص ۲۳۵ رواية ۵۹ باب ۴۴.

[۲۵۹] أعراف ۸.

[۲۶۰] الأعراف ۹.

[۲۶۱] يونس ۲۳.

[۲۶۲] بحار الأنوار ج ۸۶ ص ۲۱۶ رواية ۳۰ باب ۴۴.

[۲۶۳] بحار الأنوار ج ۹۰ ص ۱۶۴ رواية ۱۵ باب ۹.

[۲۶۴] بحار الأنوار ج ۴۷ ص ۳۶ رواية ۳۵ باب ۴.

[۲۶۵] بحار الأنوار ج ۵۳ ص ۹۶ رواية ۱۱۱ باب ۲۹.

[۲۶۶] بحار الأنوار ج ۵۲ ص ۱۲۲ رواية ۴ باب ۲۲.

[۲۶۷] الإسراء ۸۴.

[۲۶۸] بقرة ۲۱۴.

[۲۶۹] يوسف ۱۱۰.

[۲۷۰] النمل۶۲.

[۲۷۱] الحديد ۲۵.

[۲۷۲] النساء ۱۳۵.

[۲۷۳] الشعراء ۱۷۹،۱۶۳،۱۵۰،۱۴۴،۱۳۱،۱۲۶،۱۱۰،۱۰۸.

[۲۷۴] الزخرف ۶۳.

[۲۷۵] الأعراف ۱۶۵.

[۲۷۶] الأنفال ۲۵.

[۲۷۷] الکافی ج ۲ ص ۹۱ روایة ۱۵.

[۲۷۸] بحار الأنوار ج ۲۵ ص ۱۳۴ روایة ۶ باب ۴.

[۲۷۹] الکافی ج ۱ ص ۴۰۰.

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنـادِرُ البِحـار – فی تلخیص بحـار الأنـوار، للعلاّمـة فیض الاسـلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابِذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.


مرکز
القائمیة
اصبهان
للبحوث والتحریات الکمبیوتریة
www
للحصول علی المکتبات الخاصه الاخری
ارجعوا الی عنوان المـرکز من فضلـکم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للایصاء من فضلکم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹